تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

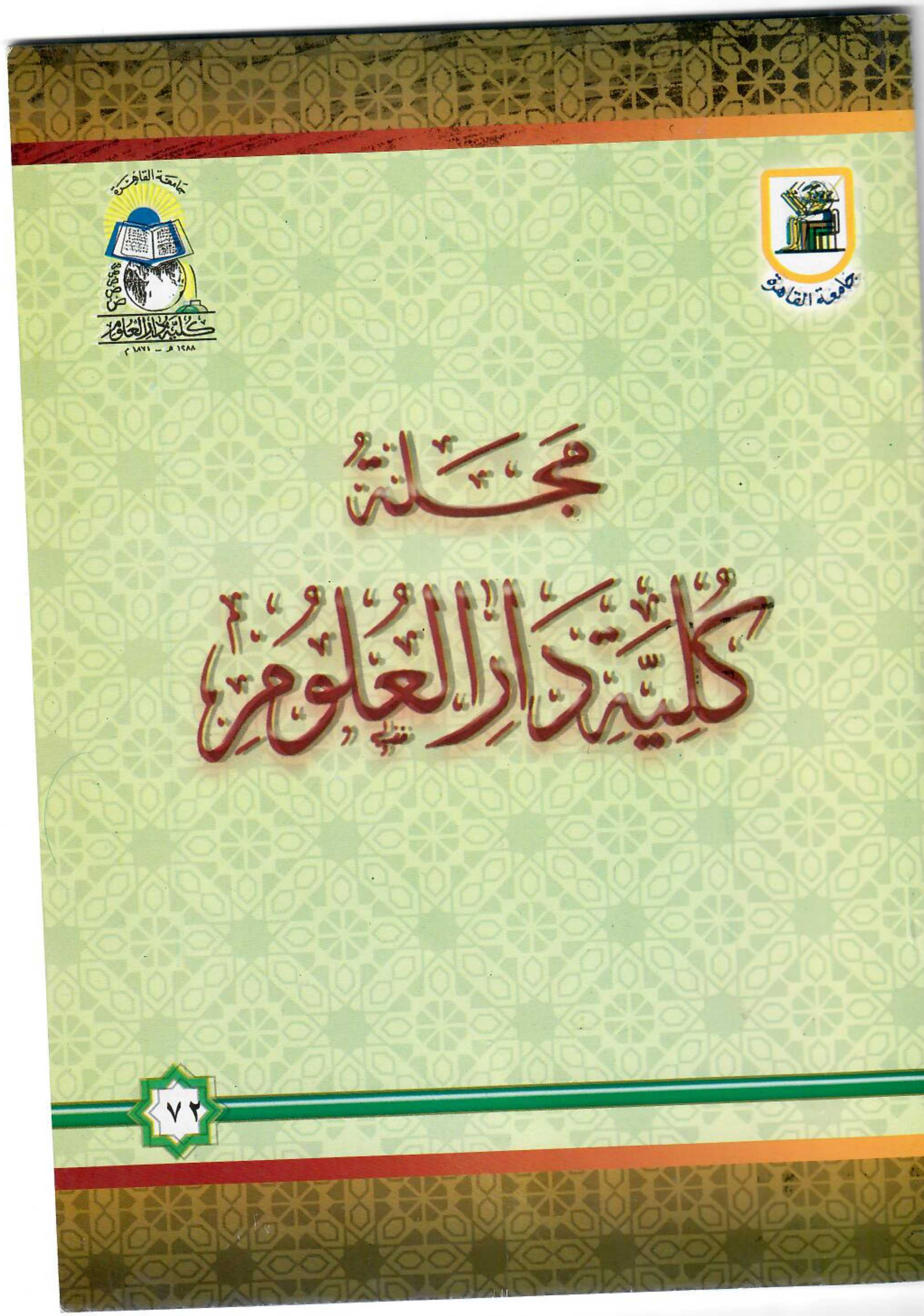

في هذا العدد

*المقدمة

* فاتحة العدد ..... أ.د. محمد صالح توفيق

على الجارم بين أدباء عصره ..... أ.د. أحمد على الجارم

ابن الشمر شاعر منجم في بلاط عبد الرحمن الأوسط للمستشرق إلياس تيريس سادابا .. أ. د. شعبان محمد مرسي

سيميائية العنوان في السور القرآنية ذوات البؤرة الاستفهامية ونظرية نحو النص .... أ.د. عبد الفتاح الحموز

مدرسة الحجاز اللغوية : أسس الفرض ومشكلاته..... أ.د. محمد عبد العزيز عبد الدايم

قراءات في بعض مصادر التراث النحوي ..... أ.د. حسن محمود هنداوي

حسن العشرة وتعدد الزوجات ..... د. فاتن بنت محمد بن عبدالله المشرف

الضرورة الشعرية من زاوية البلاغة النفسية بين التأصيل والتحليل..... د. مجدي محمود رشاد محمد

ثنائية اللهجات والقراءات القرآنية في "جامع البيان في تأويل القرآن" للطبري ..... د. أمل شفيق عقلة العمري ، د. محمد فوزي أحمد بني ياسين

أحكام فك النقود المعاصرة ومبادلتها بجنسها ..... د. محمد بن عبد الله المحيميد

البنية الدرامية في شعر سميح القاسم : قراءة في نماذج مختارة ..... د. ختام عثمان إبراهيم الخولى

نحو النص وبعض تطبيقاته على نصوص التراث ..... د. بندر بن حمدان الشمري

المفاعيل بين القاعدة والعلة ..... د. يوسف محمد سعود عويهان العنزي

رسالة شريفة في تفسير قوله تعالى : وإنها لكبيرة إلا على الخشعين ..... د. أمجد بن محمد زيدان

مسوغات التعدي على حق الخصوصية في إزالة المنكر : دراسة دعوية تأصيلية .... د. ناصر بن خليفة اللوغاني

نحوية النص الشعري وأثرها على الدلالة – قصيدة الحجر الصغير "لإيليا أبـــي ماضـــي" نموذجًا ..... د. فاطمة إسماعيل غزالي صديق

المسؤولية المدنية والجنائية للشهود في الفقه الإسلامي – دراسة فقهية مقارنة ..... د. السيد أحمد عبدالله منصور

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

مجلـــة

كلية دار العلوم

مجلة علمية محكمة تصدرها كلية دار العلوم

جامعة القاهرة

فبراير ٢٠١٤م

تأصيل | T’aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

مجلة كلية دار العلوم

مجلة علمية محكمة تصدرها كلية دار العلوم

هيئة التحرير

أ٠د٠ محمـــد صالـــح توفيـــــق — عميد الكلية

"المشرف العام"

أ٠د٠ يسرى أحمد عبد الله زيدان — وكيل الكلية للدراسات العليا

رئيس التحرير

أسرة التحرير

أ٠د٠ الطاهـــر أحمـــــد مكـــى — أ٠د٠ محمـــد السيـــــد الجليند

أ٠د٠ محمـــد حسن عبد العزيز — أ٠د٠ محمد عبد المجيـــد الطويـــل

أ٠د٠ عبـــد الله جمـــال الديـــن

تأصيل | T’aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

سِيْمْيائِيَّةُ العُنْوانِ
في السُّوْر القرْآنِيَّةِ ذوات البُؤْرَةِ الاسْتِفْهامِيَّةِ
ونَظَرِيَّةُ نحْوِ النّصِّ

أ.د. عبد الفتاح الحموز(*)

لا شَكَّ في أَنَّ للعُنْوانِ وَشِيْجاً مَتِيْناً بالمَعْنَى العامِّ ، وأَثَراً في تَبَيُّنِه ، وتَعَرُّفِه ، فهُوَ يُنْبِئُ عَنْ أَهَمِّ غَرَضٍ مِنْ أَغْراضِ السُّورَةِ ، وما يُمْكِنُ أَنْ تَدُوْرَ في فَلَكِه مِنَ المَعْنَى العامِّ ، ويكْشِفُ عَنْهُ ، على أَنَّهُ كالمَنارَةِ الَّتِي تُنِيْرُ الدَّرْبَ أَمامَ التَّائِهِيْنَ ، وسِيْما على ما يُمْكِنُ أَنْ تَشْتَمِلَ علَيْهِ السُّوْرَةُ مِنْ مَعانٍ فَرْعِيَّةٍ ، أَوْ جُزْئِيَّةٍ تنْدَرِجُ تَحْتَ المَعْنَى العامِّ .

(١) سِيْمْيائِيَّةُ العُنْوانِ في سُوْرَةِ المَاعُوْنِ : سُوْرَةُ الماعُون ، وسُوْرَةِ أَرَأَيْتَ ، وسُوْرَةِ الدِّيْنِ ، وسُوْرَةِ التَّكْذِيْبِ ، وسُوْرَةِ الماعُوْنِ ، والدِّيْنِ ، والتَّكْذِيْبِ ، وسُوْرَةِ اليَتِيْمِ :

لهذِهِ السُّوْرَةِ كما مَرَّ ستَّةُ أَسْماءٍ ، كما في كُتُبِ التَّفْسِيْرِ ، وبَعْضِ المَصاحِفِ كُلُّ اسْمٍ يَدُوْرُ في فَلَكِ لَفْظَةٍ فيها تَحْمِلُ دَلالَةً رَئِيْسَةً على وَفْقِ ما يَراهُ المُفَسِّرُ ، وهذِهِ الأَسْماءُ هِيَ :

(أ) الماعُوْنُ : قِيْلَ إِنَّ هذِهِ التَّسْمِيَةَ تَعُوْدُ إلى وُرُوْدِ هذِهِ اللَّفْظَةِ في هذِهِ السُّوْرَةِ دُوْنَ غَيْرِها مِنِ السُّوَرَ القُرْآنِيَّةِ الأُخْرَى ، على أَنَّ للماعُوْنِ في العَرَبِيَّةِ مَعانِيَ : المَطَرُ ، والماءُ ، وكُلُّ ما يُنْتَفَعُ بِهِ كالمَعْنِ ، وكما في قَوْلِهِ تَعالَى : " ويَمْنَعُوْنَ

(*) الأستاذ بجامعة الكويت .

الماعُوْنَ "[1] ، وكُلُّ ما يُسْتَعارُ كالفَأْسِ ، والقَدُوْمِ ، والقِدْرِ ، والدَّلْوِ ، والقَصْعَةِ ، والشَّفْرَةِ ،والسُّفْرَة ، والانْقِيادُ ، والطَّاعَةُ ، والزَّكاةُ (الشَّيْءُ القَلِيْلُ) ، وما يُمْنَعُ عَنِ الطَّالِبِ ، وما لا يُمْنَعُ على أَنَّهُ مِنَ الأَضْدادِ ، والمَنْفَعَةُ ، والعَطِيَّةُ ، والصَّدَقَةُ الواجِبَةُ[2] .

ويُنْبِئُ هذا العُنْوانُ في هذهِ السُّوْرَةِ عَنِ البُخْلِ ، والشُّحِّ ، والدَّناءَةِ ، واللُّؤْمِ، وعَدَمِ الامْتِثالِ لأَوامِرِ اللّهِ كإِطْعامِ الفُقَراءِ ، والمَساكِيْنِ ، واليَتامَى ، ومَنْعِ الصَّدَقَةِ ، والزَّكاةِ ، على أَنَّ المُرادَ حَثُّ الأَغْنِياءِ ، والمُوْسِرِيْنِ وغَيْرِهِمْ على رِعايَةِ أُولئِكَ الفُقَراءِ ، والمَساكِيْنِ ، واليَتامَى ، والتَّكَفُّلِ بِهِمْ ، وهِيَ مَسْأَلَةٌ تُصْلِحُ المُجْتَمَعَ الإِسْلامِيَّ ، وتَنْشُرُ فيْهِ التَّوادَّ ، والتَّحابَّ ، والتَّكافُلَ ، وتَقْضِيْ على البَغْضاءِ ، والحَسَدِ ، وتَنْشُرُ الرَّاحَةَ ، والسَّعادَةَ ، والطُّمَأْنِيْنَةَ ، ويَنالُ مَنْ يُوْسَمُ بِها رِضَى اللّهِ ، وثَوابَهُ في الآخِرَةِ .

(ب) أَرَأَيْتَ : هذا العُنْوانُ يَتَكَوَّنُ مِنْ هَمْزَةِ الاسْتِفْهامِ ، والفِعْلِ الماضي ، وفاعِلِهِ ضَمِيْرِ المُخاطَبِ ، وهُوَ الرَّسُوْلُ ، على اَنَّ المُرادَ كُلُّ إِنْسانٍ ، وهُوَ يَشْكِّلُ عَنْصُرَيْنِ رَئِيْسِيْنِ مِنَ البُؤْرَةِ الاسْتِفْهامِيَّةِ ، أَوِ الجُمْلَةِ النَّواةِ الَّتي افْتُتِحَتْ بِها هذهِ السُّوْرَةِ : " أَرَأَيْتَ الَّذي يُكَذِّبُ بالدِّيْنِ : ، وهِيَ جُمْلَةٌ بَقِيَ مِنْها المَفْعُوْلُ بِهِ الفَضْلَةُ ، وهُوَ الاسْمُ المَوْصُوْلُ ، وصِلَتُهُ " الَّذيْ يُكَذِّبُ بالدِّيْنِ " .

ويَشْتَمِلُ هذا العُنْوانُ كما مَرَ على المُخاطَبِ الرَّسُوْلِ علَيْهِ السَّلامُ ، وكُلِّ سامِعٍ ، والمُخاطِبِ اللّهِ سُبْحانَهُ ، على أَنَّ الزَّمَنَ عامٌّ على الرَّغْمِ مِنَ أَنَّ الفِعْلَ (رَأَى) ماضٍ . وتُتُوْسِيَ المَفْعُوْلُ بِهِ في هذا العُنْوانِ (الَّذيْ يُكَذِّبُ بالدِّيْنِ) ؛ لأَنَّ المُخاطَبَ هُوَ المُهِمُّ ، والمَقْصُوْدُ ، وأَنَّ المَفْعُوْلَ بِهِ الَّذيْ يُعَدُّ فَضْلَةً في النَّحْوِ العَرَبِيِّ ، ومَنْظُوْراً ثانَوِيّاً في النَّحْوِ الوَظِيْفِيِّ على الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ هذا النَّحْوَ

---

(١) الماعون : ٧ .

(٢) انظر : الزبيديّ ، تاج العروس ، معن : ١٧٩ .

لا يُقِرُّ إلاَّ بوَظِيْفَتَيْنِ تَرْكِيْبِيَّتَيْنِ هُما الفاعِلُ ، والمَفْعُوْلُ بِهِ ، وما عَداهُما يُعَدُّ مِنْ بابِ اللَّواحِقِ تَحْمِلُ وَظائِفَ دَلالِيَّةً – قَدْ يُحْمَلُ تَناسِيْهِ على الرَّغْبَةِ في أَنْ يَكُوْنَ العُنْوانُ مُخْتَصَراً كالماعُوْنِ ، وأَنَّهُ غَيْرُ خاف ؛ لأَنَّهُ بَيِّنٌ ، ومَعْرُوْفٌ لكَوْنِهِ مِنَ سادَةِ قُرَيْشٍ ، فلا مُحْوِجَ إِلى ذِكْرِهِ ؛ لأَنَّ العَرَبِيَّةَ مِنْ سِماتِها الرَّئِيْسَةِ الاخْتِصارَ، والاخْتِزالَ . والقَوْلُ نَفْسُهُ في أَهَمِيَّةِ (أَرَأَيْتَ) في هذا العُنْوانِ مِنْ حَيْثُ تَرَكُّبُها مِنْ هَمْزَةِ الاسْتِفْهامِ الَّتيْ تُنْبِئُ قُوَّتُها الإِنْجازِيَّةُ عَنِ التَّعَجُّبِ مِنْ وَضْعِ ذلِكَ الكافِرِ الَّذي يُكَذِّبُ بيوْمِ الدِّيْنِ ، والمُبالَغَةِ فِيْهِ ، وتَشْوِيْقِ السَّامِعِ إِلى مَعْرِفَةِ المَقْصُوْدِ ، أَوِ المُرادِ ، أَوْ مَنْ سِيْقَ لَهُ الكَلامُ ، أَوْمَنْ يُنْكِرُ يَوْمَ البَعْثِ ، أَوِ القِيامَةِ ، أَوِ الجَزاءِ ، وتَبَيُّنِهِ ، وقِيْلَ إِنَّهُ يَجُوْزُ أَنْ تَكُوْنَ قُوَّةُ الاسْتِفْهامِ الإِنْجازِيَّةُ التَّقْرِيْرَ ؛ ليَتَذَكَّرَ السَّامِعُ ذلِكَ الَّذيْ يُوْسَمُ بِما مَرَّ ، على أَنَّ الرُّؤْيَةَ بَصَرِيَّةٌ . ويَجُوْزُ أَنْ تَكُوْنَ الهَمْزَةُ بمَعْنَى (هَلْ) : هَلْ عَرَفْتَ الَّذي يُكَذِبُ بالدِّيْنِ ؟ .

وفي (رَأَيْتَ) مِنْ حَيْثُ كَوْنُها مِمَّا يَتَعَدَّى إِلى مِفْعُوْلٍ واحِدٍ ، أَوْ مَفْعُوْلَيْنِ قَوْلانِ :

(١) أَنْ تَكُوْنَ بَصَرِيَّةً تَتَعَدَّى إِلى مَفْعُوْلٍ واحِدٍ ، وهُوَ (الَّذي يُكَذِّبُ بالدِّيْنِ) .

(٢) أَنْ تَكُوْنَ عِلْمِيَّةً بمَعْنَى (أَخْبِرْنِيْ) مَجازاً ، على أَنَّ مَفْعُوْلَها الأَوَّلَ (الَّذيْ يُكَذِّبُ بالدِّيْنِ) ، وأَنَّ مَفْعُوْلَها الثَّانِيَ جُمْلَةٌ اسْتِفْهامِيَّةٌ مَحْذُوْفَةٌ تَقْدِيْرُهُا : أَلَيْسَ مُسْتَحِقّاً للعَذابِ ؟ ، أَوْ : مَنْ هُوَ ؟ ، وهذِهِ الجُمْلَةُ الاسْتِفْهامِيَّةُ قائِمَةٌ مَقامَ هذا المَفْعُوْلِ الثَّانِيْ ، أَوْسادَةٌ مَسَدَّهُ ؛ لأَنَّ فِعْلَ العِلْمِ (رَأَيْتَ) مُعَلَّقٌ عَنِ العَمَلِ ، على أَنَّ المُعَلِّقَ حَرْفُ الاسْتِفْهامِ ، أَوِ اسْمُهُ على وَفْقِ التَّقْدِيْرِ .

(ج) الدِّيْنُ : المُرادُ بالدِّيْنِ : الجَزاءُ ، أَوْ يُوْمُ البَعْثِ ، أَوْ يَوْمُ القِيامَةِ ، أَوِ الإِسْلامُ ، على أَنَّ (أَلْ) جِنْسِيَّةٌ ، أَوْ عَهْدِيَّةٌ ، ولَعَلَّ اخْتِيارَ هذِهِ اللَّفْظَةَ لتَكُوْنَ عُنْواناً لهذِهِ السُّوْرَةِ يَعُوْدُ إِلى خِفَّتِها ، كما مَرَّ ، وما تُنْبِئُ عَنْهُ مِنْ حَيْثُ إِنَّها

تَشْمَلُ كُلَّ ما لَهُ وَشِيْجٌ بالدِّيْنِ الإِسْلامِيِّ ، أَوْ يَوْمِ البَعْثِ ، أَوِ القِيامَةِ ، كما مَرَّ ، على أَنَّها تُعَدُّ أَهَمَّ لَفْظَةٍ في هذِهِ السُّوْرَةِ لِما يُمْكِنُ أَنْ يَنْدَرِجَ تَحْتَها مِنْ مَعانٍ ظاهِرَةٍ ، وسِيْمْيائِيَّةٍ . ويُعَزِّزُ حَرْفُ الجَرِّ في هذِهِ اللَّفْظَةِ أَهَمِّيَتَها مِنْ حَيْثُ إِنَّ المُرادَ الإِنْكارُ التَّامُّ ؛ لأَنَّ فِعْلَ التَّكْذِيْبِ قَدْ يَتَعَدَّى إِلى مَفْعُوْلٍ صرِيْحٍ ، أَوْ غَيْرِ صَرِيْحٍ ، فمِنْ غَيْرِ الصَّرِيْحِ تَعْدِيَتُهُ بالباءِ ،كما في قَوْلِهِ تَعالى : " وكَذَّبُوا بآياتِنا كِذّاباً "(١) ، على أَنَّ المُرادَ الإِنْكارُ التَّامُّ ، وتعْدِيَتُهُ إِلى المَفْعُوْلِ الصَّرِيْحِ المُرادُ مِنْها جَعْلُ هذا المَفْعُوْلِ كاذِباً ، أَوْ نِسْبَتُهُ إِلى الكَذِبِ ، كما في : كَذَّبَ فُلاناً ، وكما في قَوْلِهِ تَعالَى : " فإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُوْنَكَ "(٢) ، وقَدْ قَرَأَ ابْنُ مَسْعُوْدٍ(٣) : " يُكَذِّبُ الدِّيْنَ " ، بنَصْبِ (الدِّيْنَ) على المَفْعُوْلِ بِهِ الصَّرِيْحِ ، على أَنَّ الباءَ يُمْكِنُ أَنْ تَكُوْنَ للتَّعْدِيَةِ تُوْمِئُ إِلى المُلاصَقَةِ المَجازِيَّةِ ، وأَنْ تَكُوْنَ زائِدَةً لتَوْكِيْدِ مَجْرُوْرِها، وهذا التَّوْكِيْدُ يَتَحَقَّقُ إِمَّا بإِعادَةِ الجارِّ والمَجْرُوْرِ ، وإِمَّا بإِعادَةِ الجُمْلَةِ (يُكَذِّبُ بالدِّيْنِ) ، وكَذَّبَهُ : قالَ لَهُ : كَذَبْتَ ، وأَخْبَرَ أَنَّهُ كاذِبٌ . والمَوْصُوْلُ وصِلَتُهُ رَأْسُهُ مَحْذُوْفٌ ، وهُوَ المَوْصُوْفُ على أَنَّ الإِعْرابَ للمَوْصُوْلِ وَصِلَتِهِ كما في النَّحْوِ الوَظِيْفِيِّ ، وهُوَ إِعْرابٌ ذَهَبَ إِلَيْهِ مُؤَدِّبٌ في عَصْرِ ابْنِ هِشامٍ ، على الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ النُّحاةَ ذَهَبُوا جَمِيْعُهُمْ إِلى أَنَّ الإِعْرَبَ للاسْمِ المَوْصُوْلِ وَحْدَهُ.

(د) التَّكْذِيْبُ : التَّكْذِيْبُ : مَصْدَرُ كذَّبَهُ ، وكَذَّبَ بِهِ تَكْذِيْباً ، وكِذّاباً ، وتَكْذِبَةً ، وهذا المَصْدَرُ لَمْ يُذْكَرْ في هذِهِ السُّوْرَةِ ؛ لأَنَّهُ اسْتُغْنِيَ بفِعْلِهِ عَنْهُ . ويُنْبِئُ هذا العُنْوانُ عَنْ أَنَّ لَفْظَةَ التَّكْذِيْبِ تُعَدُّ الكَلِمَةَ الَّتي تُوْمِئُ إِلى المُرادِ مِنَ السُّوْرَةِ ، وهُوَ مُرادٌ يَكْمُنُ فيما أُعِدَّ للمُكَذَّبِ ، أَوِ المُنْكِرِ في يَوْمِ الحِسابِ مِنْ عِقابٍ شَدِيْدٍ

---

(١) النَّبأ : ٢٨ .

(٢) الأنعام : ٣٣ .

(٣) انظر : انظر : الطَّبَريّ ، تفسير الطَّبريّ : ٣/٢٠٠ ، أَبوحيّان النحويّ ، البحر المحيط : ٨/٥١٧ .

على سَبِيْلِ التَّهْدِيْدِ ، والوَعِيْدِ ، ويُمْكِنُ أَنْ يُوْمِئُ تَضْعِيْفُ عَيْنِ هذا المَصْدَرِ إلى المُبالَغَةِ في الكَذِبِ ، والتَّكْذِيْبِ ، على أَنَّ (كَذَبَ) مُخَفَّفاً مِمَّا يَتَعَدَّى إلى مَفْعُوْلٍ صَرِيْحٍ أَيْضاً ، كما في : كُذِبَ الرَّجُلُ (أُخْبِرَ بالكَذِبِ) . وقِيْلَ إِنَّ للكَذِبَ خَمْسَةَ أَقْسامٍ[1] :

- تَغْيِيْرُ الحاكِيْ ما يَسْمَعُ ، وهذا القِسْمُ هُوَ الَّذِيْ يُؤْثِمُ ، ويَقْضِيْ على المُرُوْءَةِ .
- اَنْ يَقُوْلَ المُتَكَلِّمُ ، أَوِ الحاكِيْ قَوْلاً يُشْبِهُ الكَذِبَ ، على أَنَّهُ لا يَقْصِدُ بِهِ إِلاَّ الحَقَّ .
- أَنْ يَكُوْنَ بمَعْنَى الخَطَأ ، وهُوَ شائِعٌ في الكَلامِ .
- أَنْ يَكُوْنَ بمَعْنَى البُطُوْلِ ، كما في : كَذَبَ الرَّجُلُ (بَطَلَ عليْهِ أَمَلُهُ) .
- أَنْ يَكُوْنَ بمَعْنَى الوُجُوْبِ ، والإِغْراءِ، كما في قَوْلِ عُمَرَ : " كَذَبَ عليْكُمُ الحَجُّ ، كَذَبَ عَلَيْكُمُ العُمْرَةُ ، كذَبَ عليْكُمُ الجِهادُ ، ثَلاثَةُ أَسْفارٍ كَذَبْنَ عليْكُمْ " برَفْعِ ما بَعْدَ (عَلَيْكُمْ) ، ونَصْبِهِ ، على أَنَّ (كَذَبَ) بمَعْنَى : وَجَبَ.

(هـ) الماعُوْنُ ، والدِّيْنُ ، والتَّكْذِيْبُ : يَشْتَمِلُ هذا العُنْوانُ على العَناوِيْنِ الثَّلاثَةِ السَّابِقَةِ ، وهِيَ عَناوِيْنُ تَجْتَمِعُ فيها سِيْمْيائِيّاً دَلالَةٌ مُرَكَّبَةٌ مِنْ كُلِّ عَنْوانٍ – كما مَرَّ – تَدُوْرُ في فَلَكِ مَصِيْرِ كُفَّارِ مكَّةَ ، ومُنافِقِيْها مِنْ حَيْثُ التَّهْدِيْدُ ، والوَعِيْدُ بأَنَّ لَهُمْ عِقاباً شَدِيْداً يَنْتَظِرُهُمْ ، على أَنَّ الخِطابَ مُوَجَّهٌ إِلى الرَّسُوْلِ ، والأُمَّةِ في كُلِّ زَمانٍ ، ومَكانٍ .

(و) اليَتِيْمُ : لَعَلَّ في اخْتِيارِ هذا العُنْوانِ سِيْما على وُجُوْبِ الاعْتِناءِ باليَتِيْمِ ، ورِعايَتِهِ ، والإِحْسانِ إِلَيْهِ ، على أَنَّهُ أَحَدُ الأَوْلادِ ، وعَدَمِ دَفْعِهِ بقُوَّةٍ ، وعُنْفٍ إِذا جاءَ طالِباً المُساعَدَةَ احْتِقاراً لَهُ ، وإِظْهاراً لَهُ أَنهُ لَيْسَ في مَنْزِلَةِ الزُّعَماءِ ، والرُّؤَساءِ ، وتَهْدِيْدِ أُولئكَ الَّذِيْنَ لا يَتَقَيَّدُوْنَ بهذا الوُجُوْبِ على الرَّغْمِ مِنْ كَوْنِهِمْ

---

(١) انظر : الزَّبيديّ ، تاج العروس ، كذب : ١٢٩/٤ .

مُوْسِرِيْنَ ، على أَنَّ هذِهِ الرِّعايَةَ ، والاعْتِناءَ يُسْهِمانِ في تَماسُكِ المُجْتَمَعِ ، وتَضامُنِه ، والقَضاءِ على الحَسَدِ ، والبَغْضاءِ ، والكَراهِيَةِ ، وإِشاعةِ الرَّاحَةِ ، والسَّعادَةِ ، والأَمْنِ ، والاطْمِئْنانِ فيهِ ، ولا شَكَّ أَنَّ المُرادَ في هذِهِ السُّوْرَةِ أَبُوْ جَهْلٍ – كما قِيْلَ– الَّذي أَنْكَرَ يَوْمَ القِيامَةِ ، والحِسابِ ، على أَنَّ دَعَّهُ لليَتِيْمِ ، وزَجْرَهُ لَهُ لَيْسَ مُسْتَغْرَباً ، إِذْ كانَ وَصِيّاً لِيَتِيْمٍ جاءَهُ عُرْيانَ ، فسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ شَيْئاً مِنْ مالِهِ ، فدَفَعَهُ بعُنْفٍ ، وقُوَّةٍ ، وزَجَرَهُ ، على أَنَّ الأَصْلَ أَنْ يُواسِيَهُ ، ويُحْسِنَ إِلَيْهِ ، كما في قَوْلِهِ تَعالَى : " وأَمَّا اليَتِيْمَ فلا تَقْهَرْ ... "(١) ، " ويُطْعِمُوْنَ الطَّعامَ على حُبِّهِ مِسْكِيْناً ويَتِيْماً وأَسِيْرا "(٢) ، وقِيْلَ إِنَّ المُرادَ الوَلِيْدُ بْنُ المُغِيْرَةِ ، أَوِ العاصُ بْنُ وائِلٍ ، أَوْ أَبُوْ سُفْيانَ .

ويَتَبَيَّنُ لَنا مِمَّا مَرَّ أَنَّ هذِهِ العَناوِيْنَ السِّتَّةَ الَّتي تَشْتَمِلُ عليْها الآياتُ في هذِهِ السُّوْرَةِ تُنْبِئُ عَمَّا يَأْتِيْ :

(١) أَنَّ الكُفَّارَ ، والمُنافِقِيْنَ سيُدْفَعُوْنَ يَوْمَ القِيامَةِ بعُنْفٍ ، وقُوَّةٍ إِلى نارِ جَهَنَّمَ الَّتي وَقُوْدُها النَّاسُ ، والحِجارَةُ بسَبَبِ كُفْرِهِمْ ، وعِنادِهِمْ ، وتَكْذِيْبِهِمْ ، وعَدَمِ الامْتِثالِ لأَوامِرِ اللَّهِ ، واجْتِنابِ نَواهِيْهِ .

(٢) أَنَّهُمْ يُقالُ لَهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ زَجْراً ، وتَوْبِيْخاً : هذا اليَوْمُ ، أَوْ هذِهِ النَّارُ الَّتي كُنْتُمْ تُنْكِرُوْنَها .

(٣) مُواساةُ الرَّسُوْلِ لكَثْرَةِ ما لَقِيَهُ مِنْ كُفَّارِ مَكَّةَ ، ومُنافِقِيْها مِنْ عِداءٍ ، وتَعْذِيْبٍ، وحِصارٍ ، لإِرْغامِهِ على أَنْ يَتْرُكَ عِبادَةَ اللَّهِ سُبْحانَهُ ، ويَتَّبِعَ عِبادَتَهُمْ للأَصْنامِ الَّتي لا تَضُرُّ ، ولا تَنْفَعُ ، وتَبْشِيْرُهُ بأَنَّ لهؤُلاءِ يَوْماً سيُلاقُوْنَ فيهِ أَشَدَّ العَذابِ ، وأَقْساهُ ، وهُوَ يَوْمَ القِيامَةِ .

---

(١) الضحى : ٩ .

(٢) الإنسان : ٨ .

(٢) سِيْمْيائِيَّةُ العُنْوانِ في سُوْرَةِ الفِيْلِ

يُعَدُّ الفِيْلُ مِنْ أَضْخَمِ الحَيَواناتِ الَّتي كانَتْ تُسْتَعْمَلُ في القِتالِ ، والمُنْتَشِرَةِ في الحَبَشَةِ في تِلْكَ الفَتْرَةِ ، وأَقْواها ، وأَعْنَفِها بالإِضافَةِ إِلى الخُيُوْلِ الَّتي كانَ يَسْتَعْمِلُها العَرَبُ ، وهذا الفِيْلُ الضَّخْمُ القَوِيُّ يَتَقَدَّمُ اثْنَيْ عَشَرَ فَيْلاً ، أَوْ ثَمانِيَةً كما قِيْلَ – سِيْما على التَّخْوِيْفِ ، والتَّهْدِيْدِ ، وإِدْخالِ الرُّعْبِ في قُلُوْبِ الخَصْمِ في تِلْكَ الفَتْرَةُ ، وهُمْ العَرَبُ سُكَّانُ مكَّةَ بزَعامَةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ ، على أَنْ قُدْرَةَ اللَّهِ الَّتي تُعَدُّ أَقْوَى مِنْ كُلِّ القُوَى مَهْما كانَت تَتَجَلّى في هذِهِ السُّوْرَةِ في أَبْهَى سُوْرَةٍ في الانْتِقامِ مِنْ هؤُلاءِ الأَحْباشِ ، وغَيْرِهِمْ الَّذِيْنَ يُرِيْدُوْنَ هَدْمَ الكَعْبَةِ بِيْتِ اللّهِ الحَرامِ ، وحِمايَةِ عِبادِهِ المُخْلِصِيْنَ المُؤْمِنِيْنَ .

والخِطابُ مُوَجَّهٌ إِلى الرَّسُوْلِ عليْهِ السَّلامُ ، والسَّامِعِيْنَ والمُؤْمِنِيْنَ في كُلِّ زَمانٍ ، ومَكانٍ على الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الرَّسُوْلَ لَمْ يَكُنْ مَوْلُوْداً في تِلْكَ الفَتْرَةِ ؛ لأَنَّهُ وُلِدَ في ذلِكَ العامِ ، ولكِنَّهُ سَمِعَ بِهذِهِ القِصَّةِ ، وشاهَدَ آثارَها فكَأَنَّهُ رآها ، وتَأَمَّلَ في مُجْرَياتِها ، وأَحْداثِها ، ونَتائِجِها ، وهِيَ قِصَّةٌ تُوْمِئُ إِلى أَنَّ هَزِيْمَةَ الغُزاةِ بما يَمْتَلِكُوْنَ مِنْ قُوَّةٍ مُرْهِبَةٍ تُعَدُّ مِنَ الأُمُوْرِ الخارِقَةِ ، المُعْجِزَةِ الَّتي تُبَشِّرِ بمَقْدَمِ الرَّسُوْلِ العَرَبِيِّ ، إِذْ لا شَكَّ في أَنَّ هذِهِ الطُّيُوْرَ الضَّعِيْفَةَ في الأَصْلِ تَمَكَّنَتْ بقُدْرَةِ اللَّهَ مِنْ تَدْمِيْرِ الفِيَلَةِ وراكِبِيْها ، ومَنِ يَتْبَعُها مِنَ الرَّاغِبِيْنَ في هَدْمِ بَيْتِ اللّهِ، وتَتَبَدَّى مَكانَةُ هذِهِ السُّوْرَةِ مِنْ أَنَّ مَنْ يَقْرَؤُها يُعافِيْهِ اللَّهُ في الدُّنْيا مِنَ القَذْفِ ، والمَسْخَ كما رُوِيَ عَنِ الرَّسُوْلِ عليْهِ السَّلامُ ، وتُوْمِئُ إِلى أَنَّ اللَّهَ قَدْ امْتَنَّ على كُفَّارِ مَكَّةَ بحِفْظِ بَيْتِ اللّهِ الحَرامِ ، وهَزِيْمَةِ أَعْدائِهِمْ الَّذِيْنَ لَوْ تَمَكَّنُوا مِنْ تَحْقِيْقِ رَغَباتِهِمْ لما أَبْقُوا ، وما وَذَروا ، على الرَّغْمِ مِنْ كُفْرِهِمْ ، وعِنادِهِمْ .

ويَتَبَيَّنُ لَنا مِمَّا مَرَّ أَنَّ عُنْوانَ هذِهِ السُّوْرَةِ يَنْدَرِجُ تَحْتَ مَعْناها العامُّ الَّذي يَكْمُنُ في تَهْدِيْدِ الكُفّارِ ، والمُنافِقِيْنَ ، وتَخْوِيْفِهِمْ بِما أُعِدَّ لَهُمْ مِنَ العَذابِ الشَّدِيْدِ ،

وتَذْكِيْرِهِمْ بأَنَّ قُدْرَةَ اللَّهِ لا تُضاهِيْها قُدْرَةٌ ، وهِيَ قُدْرَةٌ تَتَجَلَّى مِنْ خِلالِ تَدْمِيْرِ الفِيَلَةِ ، وراكِبِيْها ، وغَيْرِهِمْ مِنْ جُنُوْدِ أَبْرَهَةَ الحَبَشِيِّ .

(٣) سِيْمْيائِيَّةُ العُنْوانِ في سُوْرَةِ القارِعَةِ

قِيْلَ إِنَّ تَسْمِيَةَ هذِهِ السُّوْرَةِ بالقارِعَةِ تَعُوْدُ إِلى أَنَّها مِنْ أَسْماءِ القِيامَةِ كالحاقَّةِ، والطَّامَّةِ ، والصَّاخَّةِ ، والغاشِيةِ ، والسّاعَةِ ، والآزِفة وغَيْرِها ، على أَنَّ كَثْرَةَ أَسْماءِ المُسَمَّى تُوْمِئُ إِلى عِظَمِهِ ، وأَهَمِّيَّتِهِ ، وأَنَّ هذِهِ الأَسْماءَ تَشْمَلُها الدَّلالَةُ العامَّةُ لا الخاصَّةُ ؛ لأَنَّها لا تُعَدُّ مِنَ المُتَرادِفاتِ ، وإِلى أَنَّها تَقْرَعُ القُلُوْبَ، والأَسْماعَ لكَثْرَةِ ما يَقَعُ فيها مِنْ أَنواعِ الأَهْوالِ ، والأَفْزاعِ ، وقِيْلَ إِنَّها صَيْحَةُ النَّفْخَةِ في الصُّوْرِ ، على أَنَّ الصَّيْحَةَ الأُوْلَى تُذْهِبُ العُقُول ، والثّانِيَةَ تَمُوْتُ فيها المُخْلُوْقاتُ سِوَى إِسْرافِيْلَ الَّذي يُمِيْتُهُ اللّهُ ، والثّالِثَةَ يَقُوْمُ فيها الخَلْقُ ، والنّارُ ذاتُ التَّغَيُّظِ ، والزَّفِيْرِ . والقارِعَةُ (النّازِلَةُ الشَّدِيْدَةُ) : اسْمُ فاعِلٍ مِنْ : قَرَعَتِ القُلُوْبَ ، والأَسْماع ، وتُكَسَّرُ على : قَوارِعَ (جَمْعُ كَثْرَةٍ) ، والقَوارِعُ في القُرْآنِ الكَرِيْمِ الآياتُ الَّتي مَنْ قَرأَها أَمِنَ مِنَ الشَّياطِيْنِ ، والإِنْسِ ، والجِنِّ ؛ لأَنَّها تَقْرَعُهُمْ[1] .

(٤) سِيْمْيائِيَّةُ العُنْوانِ في سُوْرَةِ الشَّرْحِ ، وأَلَمْ نَشْرَحْ ؟ ، والانْشِراح

لهذه السُّوْرَةِ ثَلاثَةُ أَسْماء :

(أ) الشَّرْحُ : الشَّرْحُ مَصْدَرُ : شَرَحَ شَرْحاً ، ولهذا الفِعْلِ ، ومَصْدَرِهِ مَعانٍ في العَرَبِيَّةِ : الكَشْفُ ، والإِيْضاحُ كما في : شَرَحَ فُلانٌ أَمْرَهُ ، والتَّبْيِيْنُ ، كما في : شَرَحَ فُلانٌ مَسْأَلَةً مُشْكِلَةً ، وهُوَ الإِيْضاحُ أَيْضاً ، والقَطْعُ ، كما في : شَرَحَ اللَّحْمَ عَنِ العُضْوِ ، والتَّفْسِيْرُ ، كما في : شَرَحَ الغامِضَ ، والبَيانُ ، والفَهْمُ ،

---

(١) انظر : الزَّبيديّ ، تاج العروس ، قرع : ٢١/٥٤٤ .

والفَتْحُ ، كما في : شَرَحَ الشَّيْءَ (فَتَحَهُ)، والافْتِضاضُ ، كما في : شَرَحَ البِكْرَ (افْتَضَّها) ، والتَّوْسِعَةُ ، كما في : شَرَحَ اللّهُ صَدْرَهُ يَشْرَحُهُ ، فانْشَرَحَ[1] ، كما في قَوْلِهِ تَعالَى : " مَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإِسْلامِ "[2] .

ويَتَبَيَّنُ لنا مِمَّا مَرَّ أَنّ هذِهِ المَعانِيْ تَتَّحِدُ في المَعْنَى العامِّ ، على أَنَّ بَعْضَها قَدْ يُوْسَمُ بالمَجازِ عِنْدَ منْ يَرَوْنَ أَنَّ للكَلِمَةِ مَعْنًى حَقِيقِيّاً ، وآخَرَ مَجازِيّاً .

وقيْلَ إِنّ جِبْرِيْلَ علَيْهِ السَّلامُ شَرَحَ صَدْرَ الرَّسُوْلِ في صِباهُ ، أَوْ لَيْلَةَ المِعْراجِ بشَقِّهِ ، وإِخْراجِ قَلْبِهِ ، ثُمَّ غَسْلِهِ ، وتَوْسِعَتِهِ ، على أَنَّ هذا الشَّرْحَ يُوْمِئُ إِلى مَكانَةِ الرَّسُولِ عليْهِ السَّلامُ ، وعِنايَةِ اللّهِ خالِقِهِ بِهِ مِنْ حَيْثُ إِزالَةُ الغَمِّ ، والحُزْنِ، وتَطْيِيْبُ خاطِرِهِ ، وتَسْلِيَتُهُ ، بسَبَبِ ما يَلْقاهُ مِنْ كُفّارِ مكَّةَ ، ومُنافِقِيْها وتَفْسِيْرُ ما يَغْمُضُ عليْهِ .

ولَعَلَّ الاكْتِفاءَ بهذا المَصْدَرِ عُنْواناً يَعُوْدُ إِلى الرَّغْبَةِ في الإِيْجازِ ، والاخْتِصار ، وتَحقِيْقِ المَعْنَى المُرادِ ، وهُوَ شَرْحُ الصَّدْرِ بأَخْصَرِ الأَلْفاظِ ، وأَخَفِّها ، وهُوَ إِيْجازٌ يُسايِرُ أَنَّ العَرَبِيَّةَ مِنْ أَهَمِّ سِماتِها الاخْتِصارُ ، والإِيْجازُ؛ لأَنَّ المُرادَ بَيِّنٌ ، وواضِحٌ ، فلا مُحْوِجَ إِلى التَّطْوِيْلِ إِذا لَمْ يَكُنْ هُناكَ نُكْتَةٌ بلاغِيَّةٌ ، وهُما سِمَتانِ قَدْ تَحَقَّقَتا تَماماً في القُرْآنِ الكَرِيْمِ فَضْلاً عَنْ أَنَّ الشَّرْحَ يُمْكِنُ أَنْ يَشْتَمِلَ على ما مَرَّ مِنْ مَعانٍ ، وهُوَ العُنْوانُ الَّذي تَحْمِلُهُ هذِهِ السُّوْرَةُ في المُصْحَفِ .

ويُوْمِئُ هذا العُنْوانُ إِلى إِنَّ الشّارِحَ ذُوْ قُدْرَةٍ خارِقَةٍ لا تَتَوافَرُ في المَخْلُوْقاتِ ، وهُوَ جِبْرِيْلُ بأَمْرِ اللّهِ سُبْحانَهُ ، وتَعالَى ، لأَنَّ إِخْراجَ القَلْبِ حَقِيْقَةً، وغَسْلَهُ مِمَّا يَكُوْنَ قَدْ عَلِقَ بِهِ أَمْرٌ مُعْجِزٌ ، ومُسْتَحِيْلٌ .

---

(١) انظر : الزّبيديّ ، تاج العروس ، شرح : ٥٠٢/٦ - .

(٢) الأَنعام : ١٢٥ .

(ب) الانْشِراحُ : هذا العُنْوانُ مَصْدَرُ : انْشَرَحَ صَدْرُهُ انْشِراحاً ، على أَنَّ (انْشَرَحَ) مُطاوِعُ : شَرَحَ صَدْرَهُ ، فانْشَرَحَ ، وهُوَ مَصْدَرٌ يُعَدُّ أَثْقَلَ لَفْظِيّاً مِنَ الشَّرحِ ، وهُوَ مَصْدَرُ الفِعْلِ المَذْكُورُ في الآيَةِ الأُولَى في هذِهِ السُّوْرَة : " أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ "[1]. وفاعِلُ هذا الفِعْلِ (انْشَرَحَ) نَحْوِيًّا (المَفْعُولُ بِهِ مَعْنَوِيّاً) الرَّسُوْلُ عليْهِ السَّلامُ قَلْبُهُ ، فكَأَنَّ المَفْعُولَ بِهِ صُيِّرَ نائِبَ فاعِلٍ ، وهُوَ تَصْيِيْرٌ يُوْمِئُ إِلى مكانَةِ هذا المَفْعُولِ بِهِ ، وأَهَمِّيَتِهِ ، على أَنَّ الشَّارِحَ مَعْلُوْمٌ .

(ج) أَلَمْ نَشْرَحْ ؟ : هذا العُنْوانُ مُرَكَّبٌ مِنْ : هَمْزَةِ الاسْتِفْهامِ ، وحَرْفِ النَّفْيِ ، والقَلْبِ (لَمْ) ، والفِعْلِ المُضارِعِ (نَشْرَحْ) الَّذي ذُكِرَ مَفْعُوْلُهُ في الآيَةِ الأُولَى : " أَلَمْ نَشْرَحْ لكَ صَدْرَكَ " ، ويُعَدُّ هذا العُنْوانُ أَكْثَرَ طُوْلاً مِنَ العُنْوانَيْنِ السَّابِقَيْنِ ، وعَلَيْهِ فإِنَّهُ يُوْسَمُ بالثِّقَلِ ، وهِيَ مَسْأَلَةٌ لا يُصارُ إِلَيْها إِلاَّ إِذا اقْتَضَى المَعْنَى ذلِكَ ، كَزِيادَةِ الحُرُوْفِ ، وغَيْرِها ، وأُسْلُوْبِ الاسْتِثْناءِ ، وغَيْرِ ذلِكَ مِنَ المَسائِلِ الأُخرَى ، ويَكْمُنُ اقْتِضاءُ المَعْنَى فِيْهِ في تَأْكِيْدِ شرْحِ صَدرِ الرَّسُوْلِ ؛ لأَنَّ هُنالِكَ قَوْمٌ كافِرُوْنَ يُنْكِرُوْنَهُ ، ويَشُكُّوْنَ فيْهِ على الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الشَّارِحُ جِبْرِيْلُ بأَمْرِ اللَّهِ سُبْحانَهُ ، وتَعالى ، فالهَمْزَةُ تُوْمِئُ إِلى النَّفْيُ ، و(لَمْ) حَرْفُ نَفْيٍ ، وقَلْبٍ ، وبِهِما يَتَحَقَّقُ التَّقْرِيْرُ ، أَوِ القُوَّةُ الإِنْجازِيَّةُ للجُمْلَةِ الاسْتِفْهامِيَّةِ ، على أَنّ نَفْيَ النَّفْيِ إِثْباتٌ ، وتَقْرِيْرٌ ، فَكَأَنَّهُ قِيْلَ : قَدْ شَرَحْنا ، ويُعَزِّزُهُ عَطْفُ الماضِيْ علَيْهِ في قَوْلِهِ تَعالَى : " وَوَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ "[2] وأَنَّ هذا الخِطابَ الاسْتِفْهامِيَّ فِيْهِ ذَمٌّ للكُفَّارِ ، والمُنافِقِيْنَ فَضْلاً عَنْ أَنَّهُ مُوَجَّهٌ إِلى الرَّسُوْلِ علَيْهِ السَّلامُ لتَطْيِيْبِ خاطِرِهِ ، وتَسْلِيَتِهِ بسَبَبِ ما يُلاقِيْهِ مِنْ هؤُلاءِ الكُفَّارِ ، وقَدْ حُذِفَ مِنْ هذا العُنْوانِ المُرَكَّبِ إِسْناديّاً المَفْعُوْلُ بِهِ اخْتِصاراً للعِلمِ بِهِ ، والتَّفَكُّرِ فيْهِ .

---

(١) الشّرح : ١ .

(٢) الشرح : ٢ .

(٥) سِيْمْيائِيَّةُ العُنْوانِ في سُوْرَةِ الغاشِيَةِ ، وسُوْرَةِ هَلْ أَتاكَ

يُطالِعُنا هذا العُنْوانُ في المَصاحِفِ ، وكُتُبِ التَّفْسِيْرِ ، والحَدِيْثِ النَّبَوِيِّ الشّرِيْفِ جَمِيْعِها إلاَّ ما جاءَ في تَفْسِيْرِ ابْنِ عَطِيَّةَ الَّذي سَمَّاها فيْهِ (سُوْرَة هَلْ أَتاكَ) دُوْنَ (حَدِيْثُ الغاشِيَةِ)[١] :

(أ) سورةُ الغاشِيَةِ : للغاشِيَةِ في اللُّغَةِ مَعانٍ مِنْها : القِيامةُ ، والنَّارُ، والدَّاهِيَةُ ، وقَمِيْصُ القَلْبِ ، وداءٌ يَأْخُذُ في الجَوْفِ ، كما في قَوْلِ العَرَبِ : رَماهُ اللَّهُ بالغاشِيَةِ ، كما في قَوْلِ الرَّاجِزِ :

في بَطْنِه غاشِيَةٌ تُتَمِّمُهْ

على أَنَّ المُرادَ بـــ (تُتَمِّمُهُ) : تُهْلِكُهُ ، والسُّؤَالُ (تَكْسِيْرُ : سائِلٍ) ، وحَدِيْدَةٌ فَوْقَ مُؤخِرَةِ الرَّحْلِ ، والعُقُوْبَةُ المُجَلِّلَةُ[٢] .

وفي تَفْسِيْرِ هذا العُنْوانِ في هذِهِ السُّوْرَةِ أَقْوالٌ ، كما في مَظانِّ التَّفْسِيْرِ المُخْتَلِفَةِ :

- أَنَّها القِيامَةُ ؛ لأَنَّها تَغْشَى النَّاسَ بالأَهْوالِ ، والأَفْزاعِ ، والشَّدائِدِ ، وتُحِيْطُ بالشَّيْءِ مِنْ جَمِيْعِ الجِهاتِ ، والقِيامَةُ كذلِكَ ، وتَغْشَى الخَلْقَ جَمِيْعَهُمْ فَجْأَةً ، وتَغْشَى الأَوَّلِيْنَ ، والآخَرِيْنَ ، كما في قَوْلِهِ تَعالَى : " أَفَأَمِنُوْا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غاشِيَةٌ مِنْ عَذابِ اللّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وهُمْ لا يَشْعُرُوْنَ "[٣]
- أَنَّها يَوْمُ القِيامَةِ [٤] ، لأَنَّ النَّاسَ في هذا اليَومِ فَرِيقانِ فَرِيْقُ الشَّقاوَةِ ، وفَرِيْقُ السَّعادَةِ .

---

(١) انظر : ابن عطيَّة ، المحرّر الوجِيْز في تَفْسِيْر الكتاب العزيز ، بيروت – دار الكتب العلميّة ، الطبعة الأولى ١٩٩٣، : ٤٤٣/٥ .
(٢) انظر : الزّبيديّ ، تاج العروس ، غشي : ١٦٤/٣٩ – .
(٣) يوسف : ١٠٧ .
(٤) انظر : الشهاب ، حاشية الشهاب على تفسير البيضاويّ ، ديار بكر – تركيا – المكتبة الإسلاميَّة : ٣٥٢/٨ .

سيميائية العنوان

- أَنَّها النَّارُ حَمْلاً على قَوْلِهِ تَعالَى : " وتَغْشَى وُجُوْهَهُمُ النَّارُ "(١) .
- أَنَّها أَهْلُ النَّارِ على أَنَّ الغاشِيَةَ جَمْعُ : غاشٍ كما يَظْهَرُ لي، وأَنَّ (يَغْشَوْنَها): يَدْخُلُوْنَ النَّارَ .
- أَنَّها الدَّاهِيَةُ ، على أَنَّها تَغْشَى النَّاسَ .
- أَنَّها دُخانُ النَّارِ يَخْرُجُ منْها يَوْمَ القِيامَةِ ، فيُحِيْطُ بالكُفَّارِ ، ويَغْشَى الخَلائِقَ بحَيْثُ لا يرَى بَعْضُهُمْ بَعْضاً إِلاَّ أُولَئِكَ المُؤْمِنِيْنَ الَّذِيْنَ زَوَّدَهُمُ اللَّهُ بنُوْرٍ بأَعْمالِهِمُ الصَّالِحَةِ .
- أَنَّها النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ للبَعْثِ ؛ لأَنَّها تَغْشَى جَمِيْعَ مَخْلُوْقاتِ اللّهِ تَعالَى الأَوَّلِيْنَ ، والآخَرِيْنَ .

وقِيْلَ إِنَّ الأَوْلَى ، والأَقْرَبَ أَنَّ هذا العُنْوانَ يَدُوْرُ في فَلَكِ عُمُوْمِ القِيامَةِ ؛ لأَنَّ النَّارَ ، ودُخانَها مِنْ أَهْوالِها ، وشَدائِدِها ، وأَفْزاعِها ، ودَواهِيْها ، وأَنَّ أَهْلَها مِنَ الكُفَّارِ ، والمُنافِقِيْنَ مِمَّا تَشْتَمِلُ علَيْهِ القِيامَةُ ، ولَعَلَّ ما يُعَزِّزُ هذا القولَ ما يَأْتِي:(٢) :

- أَنَّ الآيَةَ بَعْدَها تُوْمِئُ إِلى القيامَةِ: "وُجُوْهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ عامِلَةٌ ناصِبَةٌ ... "(٣)، على أَنَّ الظَّرْفَ (يَوْمَ) المُضافَ إِلى (إِذٍ) الَّذي يُعَدُّ تَنْوِيْنُها تَنْوِيْنَ عِوَضٍ مِنَ الجُمْلَةِ الفِعْلِيَّةِ المُضافِ إِلَيْها ، على أَنَّ التَّقْدِيْرَ : يَوْمَ إِذْ غَشِيَتِ النّاسَ جَمِيْعَهُمْ ، وذَكَرَ أَبُوْ حَيَّانَ(٤) أَنَّ هذهِ الجُمْلَةَ المُقَدَّرَةَ تُوْمِئُ إِلَيْها لَفْظَةُ الغاشِيَةِ الَّتي تَتَكَوَّنُ مِن (أَلْ) المَوْصُوْلَةِ ، واسْمِ الفاعِلِ (غاشِيَة) ، وتَنْحَلُّ إِلـــى :

---

(١) إبراهيم : ٥٠ .

(٢) انظر : أَضْواء البيان (المكتبة الشاملة – الشَّبكة العنكبوتيّة) : ٤٠٨/٨ .

(٣) الغاشية : ٢– ٣ .

(٤) انظر : البحر المحيط : ٣٤٦/٨ .

الَّتي غَشِيَتْ ؛ لأَنَّ هذا التّنْوِيْنَ لمْ تُذْكَرْ قَبْلَهُ جُمْلَةٌ تَصْلُحُ أَنْ يَكُوْنَ عِوَضاً مِنْها.

- أَنَّ ظَرْفَ الزَّمانِ (يَوْمَ) في (يَوْمَئِذٍ) أَكْثَرُ دَلالَةً على القِيامَةِ ، وأَلْيَقُ بِها مِنْهُ بالنَّارِ .
- أَنَّ قَوْلَهُ تَعالَى : " تَصْلَى ناراً حامِيَةً "[1] يُوْمِئُ إِلى أَنّ الغاشِيَةَ تَخْتَلِفُ في الدّلالَةِ عَنْ دَلالَةِ النَّارِ ؛ إِذْ تَشْتَمِلُ على أُمُوْرٍ أُخْرَى غَيْرِ النَّارِ كالأَهْوالِ ، والأَفْزاعِ ، والشَّدائِدِ ، وغَيْرِها كما مَرَّ .
- أَنَّ يَوْمَ القِيامَةِ يُوْمِئُ إِلى أَنّ القِيامَةَ ، أَوِ الغاشِيَةَ تَشْتَمِلُ على الخَلائِقِ جَمِيْعِها دُوْنَ اسْتِثْناءِ أَحَدٍ كُفَّاراً كانُوْا ، أَوْ مُنافِقِيْنَ مِنْ أَهْلِ الشَّقاوَةِ ، أَوْ مُؤْمِنِيْنَ مُتَّقِيْنَ مِنْ أَهْلِ السَّعادَةِ ، وهِيَ مَسْأَلَةٌ لا تَتَوافَرُ في النّارِ الّتي تَشْتَمِلُ على الكُفَّارِ ، والمُنافِقِيْنَ ، فالتَّعْمِيْمُ لا بُدَّ مِنْهُ ؛ لأَنَّ التَّخْصِيْصَ لا يُنْبِئُ عَنِ المُرادِ .
- أَنَّ المُفَسِّرِيْنَ يَكادُوْنَ يُجْمِعُوْنَ على أَنَّ الغاشِيَةَ القِيامَةُ إِلاَّ قَلِيْلاً مِنْهُمْ يَكْتَفُوْنَ بِذِكْرِ الأَوْجُهِ دُوْنَ تَرْجِيْحٍ ، أَوِ اخْتِيارٍ .

ولَعَلَّ هذا الاخْتِلافَ يُكْسِبُ هذِهِ اللَّفْظَةَ بما تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنْ دَلالاتٍ ظاهِرَةٍ ، وغائِبَةٍ ، أَوْ سِيْمْيائِيَّةٍ يُعَزِّزُ مَكانَتَها ، وأَثَرَها مِنْ حَيْثُ التَّفَكُّرُ ، والتَّأَمُّلُ في هذا اليَوْمِ ، وهِيَ مَسْأَلَةٌ تُفْضِي إِلى وُجُوْبِ إِعْدادِ مُتَطَلَّباتِ هذا اليَوْمِ الَّتي تُسْهِمُ فِي تَخْلِيْصِ هؤُلاءِ مِنْ العِقابِ ، والعذابِ الشَّدِيْدِ، ومِنْ هؤُلاءِ كُفَّارُ مَكَّةَ ، ومُنافِقُوْها الَّذِيْنَ أَنْكَرُوا هذا اليَومَ على الرَّغْمِ مِنَ هذِهِ البَيِّناتِ ، فكَأَنَّ عُنْوانَ هذِهِ السُّوْرَةِ ظاهِرِيّاً ، وسِيْمْيائِيّاً يُصَوِّرُهُمْ تَصَرُّفاتِهِمْ مِنْ حَيْث تَعْذِيْبُ الرَّسُوْلِ ، وغَيْرِهِ تَصْوِيْراً دَقِيْقاً كاشِفاً عَمَّا يُكِنُّوْنَهُ للدِّيْنِ الجَدِيْدِ ، وتَمَسُّكِهِمْ

---

(١) الغاشية : ٤ .

بعِبادَةِ الأَصْنامِ الَّتي لا تَضُرُّ ، ولا تَنْفَعُ ، وهِيَ مَسْأَلَةٌ تَنْدَرِجُ تَحْتَ الدّلالَةِ العامَّةِ الّتيْ تَتَبَدَّى مِنْ هذِهِ السُّوْرَةِ .

والغاشِيَةُ : اسْمُ فاعِلٍ مُشْتَقٌّ مِنْ : غَشِيَهُ الأَمْرُ يَغْشاهُ (أَناهُ إِتْياناً سَتَرَهُ ، وغَطَّاهُ) ، كما في قَوْلِهِ تَعالَى : " فغَشِيَهُمْ مِنَ اليَمِّ ما غَشِيَهُمْ "(١) ، على أَنَّ (أَلْ) موْصُوْلَةٌ كما مَرَّ ، وعُنْوانُ هذِهِ السُّوْرَةِ وَرَدَ فِي آيَتِها الأُوْلَى : " هَلْ أَتاكَ حَدِيْثُ الغاشِيَةِ " ، على أَنَّ المُضافَ في الإِضافَةِ المَحْضَةِ ، أَوِ الحَقِيْقِيَّةِ (حَدِيْثُ) الفاعِلُ الَّذي حُذِفَ ، وحَلَّ المُضافُ إِلَيْهِ مَكانَهُ اخْتِصاراً ، وتَخْفِيْفاً – يُعَدُّ مِنَ الأَعْلامِ المَنْقُوْلَةِ على أَنَّ ما يُنْبِئُ عَنْهُ هذا العَلَمُ يُتَبَيَّنُ قَبْلَ التَّسْمِيَةِ ، ويُوْسَمُ بالخِفَّةِ ، وشُمُوْلِ الدَّلالَةِ ، كما مَرَّ . ولَعَلَّ ما يُعَزِّزُ أَهَمِّيَّةَ هذِهِ السُّوْرَةِ ، ومَكانَتَها أَنَّ الرَّسُوْلَ علَيْهِ السَّلامُ قالَ : " مَنْ قَرَأَ سُوْرَةَ الغاشِيَةِ حاسَبَهُ اللَّهُ حِساباً يَسِيْراً "(٢) .

(ب) سُوْرَةُ هَلْ أَتاكَ :

لَقَدْ مَرَّ أَنَّ ابْنَ عَطِيَّةَ قَدْ تَفَرَّدَ بذِكْرِ هذا العُنْوانِ ، وهُوَ عُنْوانٌ يُنْبِئُ عَمَّا يأْتِيْ :

– أَنَّهُ يُوْسَمُ بالطُّوْلِ بالإِضافَةِ إِلى العنوانِ السَّابِقِ (الغاشِيَة) ؛ لأَنَّهُ مُرَكَّبٌ مِنْ حَرْفِ الاسْتِفْهامِ (هَلْ) ، والفِعْلِ (أَتَى) ، ومَفْعُوْلِهِ الصَّرِيْحِ (كاف المَخاطَب) ، وهُوَ الرَّسُوْلُ عليْهَ السَّلامُ ، والمُرادُ كُلُّ البَشَرِ ، على أَنَّ الفاعِلَ (حَدِيْثُ الغاشِيَة) لَمْ يُذْكَرْ ، على الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ المِحْوَرُ ، والمُرادُ كما يَظْهَرُ لي ، وأَنَّ المَفْعُوْلَ بِهِ يُعَدُّ فَضْلَةً في النَّحْوِ العَرَبِيِّ ، ومَنْظُوْراً ثانَوِيّاً في النَّحْوِ الوَظِيْفِيِّ ، وهِيَ مَسْأَلَةٌ لا تَقِفُ حاجِزاً يَمْنَعُ مِنْ عَدِّهِ مِحْوَراً على حَسَبِ التَّواصُلِ الإِخْبارِيِّ بَيْنَ المُتَكَلِّمِ ، والمُخاطَبِ ، وما يُؤَثِّرُ في التَّرْكِيْبُ اللُّغَوِيِّ

---

(١) طه : ٧٨ .

(٢) انظر : الزَمخشريّ ، الكشّاف : ٤/٧٤٨ ،

مِنْ حَيْثُ المَقامُ ، والسِّياقُ ،ولَيْسَ بمُسْتَبْعَدٍ أَنْ يَكُوْنَ ابْنُ عَطِيّةَ قَدْ أَوْلى الرّسُوْلَ عِنايَةً فائِقَةً ؛ لأَنَّهُ المَقْصُوْدُ الَّذي واجَهَ مِنْ كُفَّارِ مَكَّةَ أَصْنافَ العَذابِ، والتَّعْذيْبِ بسَبَبِ ما يَدْعُوْ إِلَيْهِ ، على أنّ (حَدِيْثُ الغاشِيَةِ) الفاعِلِ أُهْمِلَ ذِكْرُهُ لكَوْنِهِ مَفْهُوْما ، أَوْ مَعْلُوْما ؛ لأَنَّ ما لاقاهُ الرّسُوْلُ علَيْهِ السّلامُ كانَ بسَبَبِ دَعْوَةِ كُفَّارِ مَكَّةَ إِلى الإِيْمانِ بيَوْمِ البَعْثِ ، أَوْ يَوْمِ القِيامَةِ ، وإِنْكارِهِمْ لهذا البَحْثِ ، وقَدْ يَعُوْدُ ذلِكَ إِلى الرَّغْبَةِ في الاخْتِصارِ ، وعَدَمِ التَّطْوِيْلِ ، أَوْ إِلى أَنَّ الرَّسُوْلَ كانَ واثِقاً ، ومُؤْمِناً بأَنَّ هذا اليَوْمَ لا بُدَّ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ لا مَحالَةَ.

- أَنَّ هذا العُنْوانَ يُعَدُّ مِنْ بابِ العَلَمِ الإِسْناديِّ المُرَكَّبِ مِنَ الجُمْلَةِ الفِعْلِيَّةِ المَسْبُوْقَةِ بحرْفِ الاسْتِفْهامِ (هَلْ) .

- أَنَّ في حَرْفِ الاسْتِفْهامِ دَلالَةً قَوْلَيْنِ يَدُوْرانِ في فَلَكِ المَعْنَى المُرادِ :

(أ) أَنَّها بمَعْنَى (قَدْ) ؛ لأَنَّ المُرادَ : قَدْ أَتاكَ - يا مُحَمَّدُ - حَدِيْثُ الغاشِيَةِ ، وهُوَ حَدِيْثٌ لمْ يَكُنْ لَكَ ، أَو لقَوْمِكَ عِلْمٌ بِهِ ، كما في قَوْلِهِ تَعالَى : " هَلْ أَتَى على الإِنْسانِ حِيْنٌ مِنَ الدَّهْرِ "[1] ، على أَنَّ المُرادَ : قَدْ أَتَى على الإِنْسانِ حِيْنٌ مِنَ الدَّهْرِ[2] .

(ب) أَنَّها على بابِها مِنَ الاسْتِفْهامِ لتَحْقِيْقِ لَفْتِ النَّظَرِ، والتَّوْكِيْدِ ، وشِدَّةِ التَّعَجُّبِ، والتَّشْوِيْقِ إِلى سَماعِ هذا الحَدِيْثِ حدِيْثِ يَوْمِ القِيامَةِ ، وتَحْرِيْكِ النَّفْسِ إِلى تَلَقِّي حَدِيْثِهِ ، والتَّنْوِيْهِ بهِ ، والتَّفَكُّرِ بِهِ ، وتَفْخِيْمِهِ ، وتَناقُلِهِ مِنْ جِيْلٍ إِلى جِيْلٍ .

ويَتَبَدَّى لي أنّ إِبْقاءَ (هَلْ) على بابِها مِنَ الاسْتِفْهامِ أَوْلَى ، وأَظْهَرُ ؛ لأَنَّهُ يُنْبِئُ سِيْمْيائِيّاً فَضْلاً عَنْ دَلالَتِهِ الظّاهِرَةِ عَنْ تِلْكَ المَعانِيْ السّابِقَةِ ، وهِيَ مَعانٍ لَها أَثَرٌ نَفْسِيٌّ في المخاطَبِيْن أَيّاً كانُوْا في الغالِبِ ، على أَنَّ تَأْوِيْلَ (هَلْ) بمَعْنَى

---

(١) الإنسان : ١ .

(٢) انظر : أبو السّعود ، تفسير أبي السّعود : ١٤٨/٩ ، السّيوطي ، تفسير الجلالين : ٨٠٤/١ ،

قَدْ المُرادُ مِنْهُ تَوْكِيْدُ مجِيْءِ يَوْمِ القيامةِ ، وتَحْقِيْقِهِ ، وهِيَ مَسْأَلَةٌ تُتَبَيَّنُ مِنَ المَعانِيْ السَّابِقَةِ الَّتي يَخرُجُ إِلَيْها الاستِفْهامُ .

- أَنّ الفِعْلَ (أَتَى) ماضٍ ، وحَقِيْقَةُ الإِتْيان ، كما ذَكَرَ الرَّاغِبُ[1] : المجِيْءُ بسُهُوْلَةٍ ، وهُوَ يُسْتَعْمَلُ للمَجِيْءِ بالذَّاتِ ، وبالأَمْرِ ، والتَّدْبِيْرِ ، وفي الخَيْرِ ، والشَّرِّ[2] ، ومُتَعَدِّياً بنَفْسِهِ ، وقَدْ يَتَعَدَّى ب (علَى) سَواءٌ أُضْمِّنَ مَعْنَى (نَزَلَ) أَمْ لَمْ يُضَمّنْ، على أَنَّ تَعْدِيَتَهُ بنَفْسِهِ أَخْصَرُ، وأَنْسَبُ للعُنْوانِ مِنْها بـــ (على): هَلْ أَتَى عَلَيْكَ حَدِيْثُ الغاشِيَةِ ؟! ، وهُوَ اخْتِصارٌ يُوْسَمُ بِهِ القُرْآنُ ، والكَلامُ العَرَبِيُّ إِذا لَمْ يَكُنْ هُنالِكَ مُحْوِجٌ إِلى التَّطْوِيْلِ ، على الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ القُرْآنِ نَزَلَ بِهِ جِبْرِيْلُ مِنْ أَعْلى إِلى الرَّسُوْلِ عَلَيْهِ السَّلامُ .

- أَنَّ المُخاطَبَ المَأْتِيَّ الرَّسُوْلُ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وهُوَ يَشْمَلُ الخَلائِقَ في كُلِّ زَمانٍ، ومكانٍ ليَعْتَبِرُوا ، ويَتَّعِظُوا .

ويَتَبَيَّنُ لَنا مِنْ هذيْنِ العُنْوانَيْنِ أَنَّهُما يُوْمِئانِ إِلى ما تُنْبِئُ عَنْهُ هذهِ السُّوْرَةُ مِنْ مَعْنًى عامٍّ ، وهُوَ تَهْدِيْدُ كُفَّارِ مَكَّةَ ، ومُنافِقِيْها ، وغَيْرِهِمْ في كُلِّ زَمانٍ ، ومكانٍ ممَّنْ يُنْكِرُوْنَ يَوْمَ البَعْثِ ، أَوْ يَوْمَ القِيامَةِ بما يَجْرِيْ فيْهِ مِمنْ أَهْوالٍ ، وأَفْزاعٍ ، وشَدائِدَ – بأَنَّ لَهُمْ مَصِيْراً مُظْلِماً ، وقاسِياً لا بُدّ أَنْ يَتَحَقَّقَ ، ولكِنَّ أُولئِكَ المُؤْمِنِيْنَ المُتَّقِيْنَ الَّذِيْنَ يُقِرُّوْنَ بحَتْمِيَّةِ مَجِيْءِ هذا اليَوْمِ سَيَكُوْنُوْنَ في سَعادَةٍ ، وراحَةٍ في جِنانِ الخُلْدِ .

(٦) سُوْرَةُ النَّبَأِ ، و سُوْرَةُ عَمَّ يَتَساءَلُوْنَ ، وسُوْرَةُ عَمَّ ، وسُوْرَةُ التَّساؤُلِ ، وسُوْرَةُ المُعْصِراتِ

تُطالِعُ القارِئَ في كُتُبِ التَّفْسِيْرِ ، وبَعْضِ المَصاحِفِ ، والسُّنَّةِ خَمْسَةُ أَسْماءٍ، أَوْ عَناوِيْنَ لهذِهِ السُّوْرَةِ لكُلِّ اسْمٍ أَوْ عُنْوانٍ ما يُعَزِّزُهُ :

---

(١) انظر المُفردات : أَتى ، الزبيديّ ، تاج العروس ، أَتى ، ٣٢/٣٧ – .

(٢) انظر : الزبيديّ ، تاج العروس ، أَتى ، ٣٢/٣٧ – .

تأصيل | T’aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

(أ) سُوْرَةُ النَّبَأ :

يُعَدُّ هذا العُنْوانُ أكْثَرَ العَناوِيْنِ ، أَوِ الأَسْماءِ في أَكْثَرِ المَصاحِفِ ، وكُتُبِ التَّفْسِيْرِ ، والسُّنَّةِ ، وقِيْلَ إِنَّ النَّبأَ : الخَبَرُ ، على أَنَّهُما مُتَرادِفانِ ، أَوْ غَيْرُ مُتَرادِفَيْنِ ، وذَكَرَ الرَّاغِبُ الأَصْفَهانِيُّ(١) أَنَّ النَّبَأَ خَبَرٌ ذُوْ فائِدَةٍ عَظِيْمَةٍ ، ويَحْصُلُ بِهِ عِلْمٌ ، أَوْ غَلَبَةُ ظَنٍّ ، وأَنَّ الخَبَرَ لا يَكُوْنُ نَبَأً إِلاَّ تَحَقَّقَتْ فِيْهِ هذِهِ الأَشْياءُ الثَّلاثَةُ فَضْلاً عَنِ الصِّدْقِ ، إِذْ لا بُدَّ فِيْهِ مِنْ أَنْ يَتَعَرَّى مِنَ الكَذِبِ ، كالمُتَواتِرِ ، وخَبَرِ اللَّهِ سُبْحانَهُ ، وخَبَرِ الرَّسُوْلِ عليْهِ السَّلامُ ، فإِذا تَضَمَّنَ الفِعْلُ (أَنْبَأَ) مَعْنَى الخَبَرِ تَعَدَّى إِلى مَفْعُوْلَيْنِ ثانِيْهِما غَيْرُ صَرِيْحٍ : أَنْبَأْتُهُ بكَذا ، وإِذا تَضَمَّنَ مَعْنَى العِلْمِ تَعَدَّى إِلى مَفْعُوْلَيْنِ صَرِيْحَيْنِ : أَنْبَأْتُهُ كَذا ، وذكَرَ أَنَّ في قَوْلِهِ تَعالَى: " إِذا جاءَكُمْ فاسِقٌ بنَبَأٍ فتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيْبُوا قَوْماً بجَهالَةٍ فتُصْبِحُوا على ما فَعَلْتُمْ نادِمِيْنَ "(٢) تَنْبِيْهاً على التَّوَقُّفِ فِيْهِ إِذا كانَ شَيْئاً عَظِيْماً ، وقِيْلَ إِنَّ (أَنْبَأَ) ، و(نَبَّأَ) إِذا كانا بمَعْنَى العِلْمِ تَعَدّيا إِلى ثَلاثَةِ مَفاعِيْلَ .

ويَظْهَرُ لي أَنَّ النَّبَأَ يُمْكِنُ أَنْ يُتَوَهَّمَ بأَنْ يَكُوْنَ مِنْ بابِ (فَعَلٍ) بمَعْنَى مَفْعُوْلٍ كالسَّلَبِ ، والحلَبِ ، وأَضْرابِهِما ، على أَنَّ المُرادَ : المُخْبَرُ ، والمُخْبَرُ بِهِ ، أَوْحالاً مَحَلَّهُ ، وقِيْلَ إِنَّهُ يُقالُ : نَبَأَ ، ونَبَّأَ ، وأَنْبَأَ(٣) .

والنَّبَأُ العَظِيْمُ : الخَبَرُ العَظِيْمُ الهائِلُ ، الجَسِيْمُ ، المُهِمُّ ، وهُوَ القُرْآنُ الكَرِيْمُ ؛ لأَنَّهُ يُنْبِئُ عَنِ التَّوْحِيْدِ ، أَوْ وُقُوْعِ يَوْمِ البَعْثِ ، أَوْ يَوْمِ القِيامَةِ بما فِيْهِ مِنَ الأَهْوالِ ، والشَّدائِدِ ، أَو تَصْدِيْقِ الرَّسُوْلِ في كُلِّ ما جاءَ بِهِ ، أَوْ تَوْحِيْدِ اللّهِ ، كما قِيْلَ . وتُوْمِئُ الأَلِفُ واللاَّمُ في (النَّبَأِ) إِلى اسْتِغْراقِ الجِنْسِ ، على أَنَّ المُرادَ كُلُّ خَبَرٍ عَظِيْمٍ جاءَ بِهِ الرَّسُوْلُ ، وأَنْبَأَهُمْ بِهِ كالقُرْآنِ الكَرِيْمِ كَلامِ اللّهِ ،

---

(١) انظر : المفردات : نبأ ، الزَّبيديّ ، تاج العروس ، نبأ : ٤٤٣/١ .

(٢) الحجرات : ٦ .

(٣) انظر : الزَّبيديّ ، تاج العروس ، نبأ : ٤٤٣/١ - .

وما اشْتَمَلَ علَيْهِ كإِثْباتِ يَوْمِ القِيامَةِ ، وتَوْحِيْدِ اللّهِ ، وتَرْكِ عِبادَةِ الأَصْنامِ الَّتي لا تَضُرُّ ، ولا تَنْفَعُ .

ويَتَبَيّنُ لَنا مِمَّا مَرَّ أَنَّ هذا العُنْوانَ يُوْمِئُ إِلى لَفْظَةٍ مُهِمَّةٍ في هذِهِ السُّوْرَةِ وَرَدَتْ في الآيَةِ الثّانِيَةِ مِنْ هذِهِ السُّوْرَةِ ، وهِيَ النَّبَأُ دُوْنَ ما وُصِفَتْ بِهِ (العَظِيْمُ)، وتَعُوْدُ أَهَمِّيَّتُها إِلى ما يُمْكِنُ أَنْ تُنْبِئَ عَنْهُ ، وهُوَ القُرْآنُ الكَرِيْمُ ، وما يَشْتَمِلُ علَيْهِ مِنْ أَحْكامٍ ، أَوْ الدَّعْوَةُ إِلى تَوْحِيْدِ اللّهِ ، وتَرْكِ عِبادَةِ الأَصْنامِ ، والشِّرْكِ باللّهِ ، وتَصْدِيْقِ الرَّسُوْلِ بِكُلِّ ما جاءَ بِهِ ، ودَعْوَةِ كُفّارِ مَكَّةَ ، ومُنافِقِيها إِلى الالْتِزامِ بِما مَرَّ، وهِيَ مَعانٍ تَتَدَرَّجُ تَحْتَ ما يُمْكِنُ أَنْ تُنْبِئَ عَنْهُ هذِهِ السُّوْرَةُ مِنْ وُجُوْبِ التَّصْدِيْقِ بِيَوْمِ البَعْثِ ، وأَنَّهُ آتٍ لا مَحالَةَ ، وإِعْدادِ العَذابِ الشَّدِيْدِ للمُنْكِرِيْنَ ، والمُشْرِكِيْنَ ، والثَّوابِ العَظِيْمِ للمُؤْمِنِيْنَ ، والمُتَّقِيْنَ .

ويُوْسَمُ هذا العُنْوانُ بالإِيْجازِ ، والاخْتِصارِ ؛ لأَنَّ فيهِما تَخْفِيْفاً، وهُوَ تَخْفِيْفٌ لا بُدَّ مِنَ المَصِيْرِ إِلَيْهِ إِذا كانَ المَعْنَى بَيِّناً جَلِيّاً ، فلا مُحْوِجَ إِلى التَّطْوِيْلِ إِذا لَمْ يَكُنْ هُناكَ داعٍ ، وعلى الرَّغْمِ مِنْ هذا الإِيْجازِ ، والاخْتِصارِ فإِنَّهُ يُوْمِئُ إِلى المُرادِ ، وهُوَ مُرادٌ يُسْهِمُ فِيْهِ حَرْفُ التَّعْرِيْفِ الَّذيْ يُعَدُّ لاسْتِغْراقِ الجِنْسِ ، وهُوَ اسْتِغْراقٌ يَسْمَحُ للمُفَسِّرِ ، والقارِئِ أَنْ يَتَفَكَّرَ في كُلِّ ما يُمْكِنُ أَنْ يَشْتَمِلَ عليْهِ الاسْتِغراقُ ، ويَتَبَدَّى هذا الاخْتِصارُ أَيْضاً مِنْ بِناءِ هذِهِ اللَّفْظَةِ الصَّرْفِيِّ ، إِذْ يُمْكِنُ اسْتِعْمالُ : المُنْبَأ بِهِ ، أَوِ المُخْبَرِ بِهِ مَكانَها إِذا لَمْ يُرَدِ الاخْتِصارُ .

(ب) سُوْرَةُ عَمَّ يَتَساءَلُوْنَ :

هذا العُنْوانُ افْتُتِحَتْ بِهِ هذِهِ السُّوْرَةُ ، وهُوَ جُمْلَةٌ اسْتِفْهامِيَّةٌ تَتَرَكَّبُ مِنَ العَناصِرِ التّالِيَةِ : حَرْفُ الجَرِّ (عَنْ) ، و(ما) الاسْتِفْهامِيَّةُ ، والفِعْلُ المُارِعُ ، وفاعِلُهُ واوُ الجَماعَةِ : يَتَساءَلُوْنَ :

(١) حَرْفُ الجَرِّ (عَنْ) : تُستَعْمَلُ في العَرَبِيَّةِ اسْماً بقِلَّةٍ بقَيْدِ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْها حَرْفُ خَفْضٍ ، كما في قَوْلِ القَطامِيِّ[١] :

فقُلْتُ للرَّكْبِ لَمّا عَلا بِهِمُ مِنْ عَنْ يَمِيْنِ الحُبَيَّا نَظْرَةٌ قَبُلُ

وتُستَعْمَلُ حَرْفاً ، وهُوَ الأَكْثَرُ شُيُوْعاً ، واسْتِعْمالاً ، ولَها مَعَانٍ ، ومِنْها المُجاوَزَةُ، وهُوَ المُرادُ في هذا العُنْوانِ ، كما في قَوْلِهِ تَعالَى : " فاعْفُ عَنْهُمْ واصْفَحْ "[٢] ، و: " وكَفِّرْ عَنّا سَيِّئاتِنا "[٣] . وتُستَعْمَلُ في لُغَةِ تَمِيْمٍ بمَعْنَى (أَنْ)، كما في قَوْلِهِمْ : أَعْجَبَنِيْ عَنْ تَقُوْمَ ، بقَلْبِ هَمْزَتِها عَيْناً ، وقِيْلَ إِنَّهُمْ لا يَفْعَلُوْنَ ذلِكَ في غَيْرِها .

(٢) اسْمُ الاسْتِفْهامِ (ما) : تُستَعْمَلُ (ما) في الكَلامِ العَرَبِيِّ حَرْفَ نَفْيٍ ، ومَصْدَرِيّاً، وزائِداً على أَنَّ الزِّيادَةَ ا تُفِيْدُ التَّوْكِيْد ،واسْمَ اسْتِفْهامٍ كما في هذا العُنْوانِ ، وشَرْطٍ ، كما في : ما تَفْعَلْ مِنْ خَيْرٍ يعْلَمْهُ اللّهُ ، وتعَجُّبٍ ، كما في : ما أَجْمَلَ السّماء ، ونكِرَةً موْصُوْفَةً ، كما في : مَرَرْتُ بما مُعْجِبٍ لَكَ ، على أَنَّ المُرادَ : بشيْءٍ مُعْجِبٍ لَك ، واسْماً مَوْصُوْلاً ، كما في قوْلِهِ تعالَى : " وللّهِ يَسْجُدُ ما في السَّمواتِ والأَرْضِ "[٤] .

و(ما) في هذا العُنْوانِ اسْمُ اسْتِفْهامٍ لغيْرِ العاقِلِ ، وأَسْماءُ الاسْتِفْهامِ جَمِيْعُها مَبْنِيَّةٌ ، ولا تُضافُ إِلاّ أَيّاً ، ولا يَعْمَلُ في هذِهِ الأَسْماءِ عامِلٌ قَبْلَها إِلاَّ حَرْفُ الخفضِ ، كما في هذا العُنوانِ ، والمُضاف كما في : صَدِيْق مَنْ قابَلْت ؟ وتَخْتَصُّ (ما) بحَذْفِ أَلِفِها في الغالِبِ ، وكَثِيْراً إِذا سُبِقَتْ بحَرْفِ خَفْضٍ : عَمَّ،

---

(١) انظر : المالقيّ ، رصف المباني في حُرُوْف المَعاني ، تحقيق أحمد الخرّاط ، دمشق – مطبعة زيد بن ثابت ، ١٩٧٥ : ٣٦٧ .

(٢) النّساء : ٣١ .

(٣) آل عمران : ١٩٣ .

(٤) النّحل : ٤٩ .

ولِمَ ، وبِمَ ، ومِمّ ، وكِيْمَهْ ، وعَلامَ ، وحَتَّامَ ، وبِمُقْتَضامَ ، وغَيْرِها ؟ ، وهُوَ حَذْفٌ للنَّحْوِيِّيْنَ في تَأْوِيْلِه أَقْوالٌ :

- أنَّ الأَلِفَ حُذِفَتْ تَخْفِيْفاً لكَثْرَةِ الاسْتِعْمالِ ، وهُوَ حَذْفٌ لَمْ يُطالِعْنا في غَيْرِ الاسْتِفْهامِيَّةِ مِنَ الأَنْواعِ الأُخْرَى على الرّغْمِ مِنْ تَوافُرِ هذِهِ الكَثْرَةِ .
- أَنَّها حُذِفَتْ مِنْها لتَحقِيْقِ أَمْنِ اللَّبْسِ بَيْنَها وبَيْنَ المَوْصُوْلَةِ الَّتي لا بُدَّ مِنْ إِثْباتِ هذِهِ الأَلِفِ فيها .
- أَنَّ المِيْمَ فيها غُنَّةٌ ، وهِيَ مَسْأَلَةٌ جَعلَتْها تُشارِكُ الأَلِفَ في المَخْرَجِ ، فكَأَنَّها حَرْفٌ مُكَرَّرٌ ، ولذلِكَ حُذِفَتْ الأَلِفُ مِنْها ، وهُوَ قَوْلُ الزَّجاجِ ، وهذِهِ العِلَّةِ يَجِبُ أَنْ تُحْذَفَ على وَفْقِها أَلِفُ المَوْصُوْلَةِ ، وغَيْرِها إِلاَّ أَنَّ عَدَمَ الحَذْفِ هذا أَغْنَتْ عَنْهُ صِلَةُ المَوْصُوْلِ ، ولذلِكَ ثَبَتَتِ الأَلِفُ فيها مَزْصُوْلَةً .
- أَنَّ أَسْماءَ الاسْتِفْهامِ لَها صَدارَةُ الجُمْلَةِ ، وقَدِ اعْتَرى (ما) الضَّعْفُ لتَلاشِيْ هذِهِ الصّدارَةِ بجَرِّها بحَرْفِ الجَرِّ ، والمُضافِ ، وهِيَ مَسْأَلَةٌ جَعَلَتْها ثَقِيْلَةً، ولذلِكَ صِيْرَ إِلى تَخْفِيْفِها بحَذْفِ الأَلِفِ .

. ويتَبَدَّى لي أَنَّ حَذْفَ هذِهِ الأَلِفِ مِنْ آثارِ رَسْمِ المُصْحَفِ في الكِتابَةِ الاصْطِلاحِيَّةِ كَكَتْبِ الياءِ في آخِرِ الكَلِمَةِ بلا إِعْجامٍ ، وغَيْرِهِ ، ولَسْتُ أَنْكِرُ أَنَّ لَفْظَها في قِراءةِ القُرْآنِ يُوْسَمُ بالشُّذُوْذِ ، على الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ الأَصْلُ وأَنَّ القِراءَةَ بِلا هذِهِ الأَلِفِ قِراءَةُ الجُمْهُوْرِ ، وأَنَّ قِراءَتَها بالأَلِفِ قِراءَةُ عبْدِ اللّهِ بْنِ مَسْعُوْدٍ ، وعِكْرِمَةَ ، وعِيْسَى ابْنِ عُمَرَ ، وأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ، وذَكَرَ الأَخْفَشُ أَنَّها لُغَةٌ ، وهِيَ عِنْدَ ابْنِ هِشامٍ ، وغَيْرِهْ لُغَةٌ نادِرَةٌ ، وقِيْلَ إِنَّ إِثْباتَها لا يَجُوْزُ إِلاَّ في الشِّعْرِ[1].

---

(١) انظر : أَبُوْحَيَّان النّحويّ ، البحر المحيط :٤١٠/٨ ، الزّمخشريّ ، الكشّاف : ٣٠٤/٣ ، الشوكانيّ ، فتح القدير :٣٦٢/٥ ، ابن جنّي ، المحتسب :٣٤٧/٢ ، مكّيّ بن أبي طالب، مشكل إعراب القرآن : ٤٤٩/٢ تفسير الرّازي :٣/٣١ ، الصّبّان ، حاشية الصبّان : ١٨٩/٤، السمين الحلبي ، الدّرّ المصون: ٤٦١/٦ .

وقَرأَ الأَزْرَقُ وخالِدٌ عَنْ أَبي عَمْرٍو ، والواقِدِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ بتَخْفِيْفِ المِيْمِ (عَمَ) ، وقَرَأَ الضَّحّاكُ ، وابْنُ كَثِيرٍ في إِحْدَى الرِّواياتِ (عَمَّهْ) بهاء السَّكْتِ وَقْفاً ، ووَصْلاً ، على أَنَّ الوَصْلَ مَحْمُوْلٌ على إِجْراءِ الوَصْلِ مُجْرى الوَقْفِي؛ لأَنَّ الأَكْثرَ في الوَقْفِ على (ما) الاسْتِفْهامِيَّةِ يَكُوْنُ بالهاءِ ، وقِيْلَ إِنَّهُ وُقِفَ على (عَمَّ) ، ثُمّ ابْتُدِئَ بـــ (يَتَساءَلُوْنَ) ، وقَرَأَخَرُوْنَ وَقْفاً بالسُّكُوْنِ (عَمْ) .

ويَظْهرُ لي أَنَّ كَثْرَةَ القِراءَاتِ القُرْآنِيَّةِ لـــ (عمَّ) الجارِّ ، والمَجْرُوْرِ اسْمِ الاسْتِفْهامِ تُعَدُّ سِيْما على أَهَمِّيَّةِ المَجْرُوْرِ المُتَساءَلِ عَنْهُ مِنْ خِلالِ التَّفكُّرِ فيْهِ ، وهِيَ أَهَمِّيَّةٌ تَكْمُنُ في أَنَّهُ القُرْآنُ الكَرِيْمُ ، أَوتَوْحِيْدُ الخالِقِ ، وتَرْكُ عِبادَةِ الأَصْنامِ الَّتي لا تَضُرُّ ، ولا تَنْفَعُ ، وتَصْدِيْقُ الرَّسُوْلِ في كُلِّ ما أَخْبَرَهُمْ بِهِ ، كما مرَّ ، والتَّفَكُّرُ في دَلالَةِ الشَّيْءِ ، وأَصْلِهِ يَجْعَلانِهِ ثَقِيْلاً ، ولذلِكَ صِيْرَ إِلى تَخْفِيْفِهِ في النُّطْقِ ، ولَيْسَ بمُسْتَبْعَدٍ أَنْ يَكُوْنَ الانْزِياحُ مِنَ الأَصْلِ إِلى غَيْرِهِ قَدْ أَفْضى إِلى إِكْسابِ المَجْرُوْرَ المُتَساءَلِ عَنْهُ أَهَمِّيَةً ، ومَكانَةً ، ورِعايَةً .

ويَزْدادُ المُتساءَلُ عَنْهُ أَهَمِّيَّةً فَضْلاً عَمَّا مَرَّ بتَصَدُّرِهِ الجُمْلَةَ الاسْتِفْهامِيَّةَ على الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ هذا التَّصَدُّرَ مِنْ خَصائِصِهِ ؛ لأَنَّهُ اسْمُ اسْتِفْهامٍ ، ويُمْكِنُ أَنْ يُوْسَمَ بأَنَّهُ بُؤْرَةُ الجَدِيْدِ الَّتي هِيَ وَظِيْفَةٌ تَداوُلِيَّةٌ داخِلَ الحَمْلِ ، وهِيَ الَّتي يُرِيْدُ المُتَكَلِّمُ مِنْ خِلالِها أَنْ يُزَوِّدَهُ المُخاطَبُ بمَعْلُوْمَةٍ جَدِيْدَةٍ يَعْرِفُها ، على الرَّغْمِ مِن أَنَّ هذهِ المَعْلُوْمَةَ لا يَجْهَلُها اللّهُ تَعالَى بَلْ أَرادَ التَّهَكُّمَ ، والاسْتِهْزاءَ ، والاحْتِقارَ مَصْحُوْبَةً بالتَّعَجُّبِ مِنْ هذا الإِنْكارِ ، والإِصْرارِ على العِنادِ ، على الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ عُقُوْلَهُمْ على خِلافِ ذلِكَ ، وهِيَ وَظِيْفَةٌ تَداوُلِيَّةٌ داخِلِيَّةٌ.

سيميائية العنوان

ويُفْهَمُ مِمَّا في (التَّذْيِيلِ ، والتَّكْمِيلِ في شَرْحِ كِتابِ التَّسْهِيلِ)[1] لأَبي حَيَّان النَّحْوِيِّ أَنَّ هذِهِ الصّدارَةَ لَيْستْ بواجِبَةٍ في كُلِّ مَوْضِعٍ على وَفْقِ ما يَأْتِيْ :

- أَنَّ تَقْدِيْمَ مَعْمُوْلِ الفِعْلِ إِذا كانَ اسْمَ اسْتِفْهامٍ عليْهِ سَواءٌ أَكانَ في ابْتِداءِ الاسْتِفْهامِ أَمْ قُصِدَ بِهِ الاسْتِثْباتُ مَذْهَبُ البَصْرِيِّيْنَ ، ولذلِكَ وَسَمُوا تَقْدِيْمَ العامِلِ في الاسْتِثْباتِ في قَوْلِ العَرَبِ : ضَرَبَ مَنْ مَنا – بالشُّذُوْذِ .
- أَنَّ مَذْهَبَ الكُوْفِيِّيْنَ في هذِهِ المَسْأَلَةِ يَكْمُنُ في مُوافَقَةِ البَصْرِيِّيْنَ فيما كانَ في ابْتِداءِ الاسْتِفْهامِ ، وخالَفُوْهُمْ في كُلِّ ما يُقْصَدُ بِهِ الاسْتِثْباتُ ، إِذْ ذَهَبُوا إِلى أَنَّهُ لا يَلْزَمُ الصّدْرَ ، كما في : ضَرَبْ مَنْ مَناً (بالإِعْرابِ) ، وضَرَبَ مَنْ مَنا (بِبِناءِ الأَوَّلِ) ، وضَرَبَ غُلامُ مَنٍ مَناً ، وضَرَبَ غُلامُ مَنْ مَناً .
- أَنَّ العَرَبَ كما ذَكَرَ الكُوْفِيُّوْنَ تَفْعَلُ ذلِكَ في (ما) ، فيَقُوْلُوْنَ لِمَنْ قالَ : ضَرَبْتُ رَجُلاً : ضَرَبْتَ ما ؟ ، وضَرَبْتَ ماذا ؟ ، وضَرَبْتَ مَهْ ؟ ، ولِمَنْ قالَ: ضَرَبْتُ الرَّجُلَ : ضَرَبْتَ الما ؟ ، وضَرَبْتَ الماذا ؟ ، وضَرَبْتَ الْمَهْ ؟ بإِدْخالِ حَرْفِ التَّعْرِيْفَ ، وحَذْفِ الأَلِفِ ، وإِلْحاقِ هاءِ السَّكْتِ لَفْظاً فيْ الوَقْفِ، وخَطّاً دُوْنَ لَفْظٍ في الوَصْلِ .
- أَنّ العَرَبَ تَقُوْلُ كما ذَكَرَ الطَّبَرِيُّ : تَصْنَعَ ماذا ؟ بنَصْبِ الفِعْلِ (تَصْنَع) ، وغَيْرِهِ مِنَ الأَفْعالِ المُضارَعَةِ الّتي تَقَعُ قَبْلَ (ماذا) ما عَدا الفِعْلَ : تُرِيْدُ الَّذي يَجِبُ رَفْعُهُ ، على أَنّ النَّصْبَ بـــ (أَنْ) مُضْمَرَةً ، وأَنَّ المَصْدَرَ المُؤَوَّلَ في مَوْضِعِ نصْبٍ على المَفْعُوْلِ بِهِ بِفِعْلٍ مَحْذُوْفٍ تَقْدِيْرُهُ : تُرِيْدُ أَنْ تَصْنَعَ ماذا ؟، وقِيْلَ إِنَّ هذا السَّبَبَ الَّذي رُفِعَ فِيْهِ الفِعْلُ (تُرِيْدُ) ، إِذْ لَوْ نُصِبَ لاحْتِيْجَ إِلى تَقْدِيْرِ فِعْلٍ آخَرَ عامِلٍ في المَصْدَرِ المُؤَوَّلِ ، والتَّقْدِيْرُ : تُرِيْدُ أَنْ تُرِيْدَ ماذا ؟

---

(١) انظر : ٣٧/٧ – ٣٨ .

- أَنَّ أَسْماءَ الاسْتِفْهامِ الّتي يُقدّمُ علَيْها العامِلُ في الاسْتِثْباتِ عِنْدَ الكُوفِيِّيْنَ هِيَ : أَيٌّ ، كما في قَوْلِهِمْ لِمَنْ قالَ : ضَرَبْتُ رَجُلاً : ضَرَبْتَ أَيّاً ؟ ، ومَنْ ، وما ، وحكَى بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضِ العَرَبِ أَنَّهُ قالَ : إِنَّ أَيْنَ الماءُ ، والعُشْبُ ؟ جَواباً لِمَنْ قالَ : إِنَّ في مَوْضِعِ كذا ماءً ، وعُشْباً ، وقِياساً على ما مَرَّ لا يَجُوْزُ أَنْ تَقُوْلَ في الاسْتِثْباتِ لَوْ قِيْلَ : ضَرَبْتُ عِشْرِيْنَ رَجُلاً : ضَرَبْتَ كَمْ ؟ ، على أَنَّ الصّحِيْحَ أَنْ تَقُوْلَ : كَمْ ضَرَبْتَ ؟ .

(٣) يَتَساءَلُوْنَ : يَتَرَكَّبُ هذا مِنْ عُنْصُرَيْنِ هُما :

(أ) الفِعْلُ المُضارِعُ : يَتَساءَلُ : ماضِيْ هذا الفِعْلِ : تَساءَلَ (تَفاعَلَ) ، وهُوَ مَزِيْدٌ بالتّاءِ ، والأَلِفِ ، وهذِهِ الزِّيادَةُ تُحَقِّقُ لهذا الفِعْلِ مَعانِيَ مِنْها :

- التَّكَلُّفُ ، والتَّظاهُرُ ، وهُوَ أَنْ يُظْهِرَ أَنَّهُ يُوْسَمُ بصِفَةٍ لَيْسَتْ لَهُ في الحَقِيْقَةِ كما في : تَجاهَلَ ، وتَغافَلَ ، وتَناسَى .
- المُطاوَعَةُ لِبِناءِ (فاعَلَ) ، كما في : باعَدْتُهُ فتَباعَد ، وتابَعْتُهُ فتَتابَعَ ، وعاطَيْتُهُ فتَعاطَى كما في في قَوْلِهِ تَعالَى : " فنادَوا صاحِبَهُمْ فتَعاطَى فعَقَرَ "[1]، على أَنَّ المُرادَ عاطاهُ فتَعاطَى (ناوَلَهُ فتَناوَلَ) ، فكَأَنَّ هذِهِ الفِعْلَةَ تَداوَلَها النّاسُ ، وعاطَى بَعْضُهُمْ بَعْضاً كما ذَكَرَ أَبُوْ حَيّانَ[2] . ويَتَبَدَّى لي أَنّ هذا الفِعْلَ في هذِهِ السُّوْرَةِ يَحْمِلُ مَعْنَى التَّكَلُّفِ .
- أَنْ يَكُوْنَ بمَعْنَى المُجَرَّدِ الثُّلاثِيِّ كما في : تَوانَى في الأَمْرِ .
- التَّدَرُّجُ ، كما في : تَزايَدَ ، وتَناقَصَ .
- المُشارَكَةُ ، كما في : تَخاصَمَ الرَّجُلانِ ، وتَقاتَلا ، وتَشارَكا ، وتَضارَبا ، وتَشايَفا ، وتَنازَعا ، وتَجاذَبا أَطْرافَ الحَدِيْثِ ، على أَنَّ المُشارَكَةَ تَكُوْنُ بتَقاسُمِ

---

(١) القمر : ٢٩ .

(٢) انظر : البحر المحيط : ١٣٥/٨ .

الفاعِلِيَّةِ في اللّفْظِ ، وتَقاسُمِها ، والمَفْعُوْلِيّةِ في المَعْنَى ، ويشْتَرِكُ فيها اثْنانِ كالمُفاعَلَة .

ويُنْبِئُ الفِعْلُ (تَساءَلُوْنَ) في هذا العُنْوانِ عَنِ المُشارَكَةِ ، على أَنّ المُرادَ يَسْأَلُ بَعْضُهُمِ الآخَرَ عَنْ النَّبَأِ العَظِيْمِ ، كما في قَوْلِهِ تَعالَى : " واتَّقُوا اللَّهَ الّذي تَساءَلُوْنَ بِهِ والأَرْحامَ "(١) ، على أَنَّ الأصْلَ : تَتَساءَلُوْنَ .

ويَظْهَرُ لي أَنَّ تَساؤُلَ الكُفّارِ عَنِ النّبَأِ العَظِيْمِ يُمْكِنُ أَنْ يُحْمَلَ على الحَقِيْقَةِ على أَنّ بَعْضَهُمْ يَسْأَلُ بَعْضاً آخَرَ رَغْبَةً في تَبَيُّنِ الحَقِيْقَةِ ؛ لأَنَّ الشّكَ كانَ يُسَيْطِرُ عَلَيْهِمْ ، وقَدِ انْتَهَى بِهِمْ هذا التَّساؤُلُ إِلى الإِنْكارِ ، والتَّكْذِيْبِ عِناداً ، ويُمْكِنُ أَنْ يُحْمَلَ على التَّظاهُرِ بالسُّؤالِ على الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُمْ اتَّخَذُوا مَوْقِفاً مُعانِداً، وهُوَ الإِنْكارُ ، والتَّكْذِيْبُ ، على أَنَّ سِيْمْيائِيَّةَ هذا التَّساؤُلِ تَكْمُنُ في الاسْتِهْزاءِ ، والاحْتِقارِ ولا سِيَّما إِذا كانَ المَسْؤُوْلُ الرَّسُوْلَ ، والاسْتِغْرابِ ، وتَبْيِيْنِ أَوْضاعِهِمِ النَّفْسِيّةِ كالخَوْفِ على فَقْدِ ما يَتَمَتَّعُ بِهِ زُعَماؤُهُمِ مِنَ المَكانَةِ الاجْتِماعِيَّةِ ، والتَّفْرِيْطِ بالرِّئَةِ الَّتي وَرِثُوْها مِنْ آبائِهِمْ ، وأَجْدادِهِمْ ، ومِنْ مَظاهِرِها عِبادَةُ الأَصْنامِ الَّتي لا تَضُرُّ ، ولا تَنْفَعُ ، وهذِهِ الأَوْضاعُ تُسيْطِرُ عليْها سِماتٌ عَرَبِيَّةٌ مُتَأَصِّلَةٌ كعَدَمِ الاسْتِكانَةِ ، والعِنادِ ، وغَيْرِهِما . وقَدْ وَرَدَ هذا الفِعْلُ في آياتٍ أُخَرَ مِنْها : قَوْلُهُ تَعالَى : " فإِذا نُفِخَ في الصُّوْرِ فلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ ولا يَتَساءَلُوْنَ "(٢) ، و " وأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ يَتَساءَلُوْنَ "(٣) ، و" كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ إِلاَّ أَصْحابَ اليَمِيْنِ في جَنّاتٍ يَتَساءَلُوْنَ عَنِ المُجْرِمِيْنَ "(٤) .

---

(١) النِّساء : ١ .

(٢) المؤمنون : ١٠١ .

(٣) الطور : ٢٥ .

(٤) المدّثر : ٣٨ –٤١.

وفي هذا الفِعْلِ قِراءاتٌ قُرْآنِيَّةٌ[1] :

- قِراءَةُ ابْنِ مَسْعُوْدٍ ، وغَيْرِهِ : (يَسَّاءَلُوْنَ) ، على أَنَّ الأَصْلَ : يَتَساءَلُوْنَ .
- قِراءَةُ ابْنِ مَسْعُوْدٍ ، وسَعِيْدِ بْنِ جُبَيْرٍ : (تَسَّاءَلُوْنَ) ، على أَنَّ الأَصْلَ : تَتَساءَلُونَ ، وهذه القِراءَةُ تُعَزِّزُ الالْتِفاتَ كما مَرَّ .

(٤) فاعِلُ (يَتَساءَلُوْنَ) : الواوُ ضَمِيْرُ الرَّفْعِ المُتَّصِلُ فاعِلُ هذا الفِعْلِ ، وهُوَ يَعُوْدُ على كُفّارِ مَكَّة ، ومُنافِقِيْها ولا سِيَّما زُعَماؤُهُمْ ، ورُؤَساؤُهُمْ ، وهذا الضَّمِيْرُ لَمْ يُذْكَرْ مُفَسِّرُهُ ، أَوْ ما يَعُوْدُ عَلَيْهِ ، لأَنَّ قَرِيْنَةَ الحُضُوْرِ تَقُوْمُ مَقامَهُ ، وتُغْنِيْ عَنْهُ ، وهذه القَرِيْنَةُ تَتَبَدَّى مِنْ خِلالِ اجْتِماعاتِهِم ، وتَساؤُلاتِهِمْ ، وما يَكْتَنِفُ مِنْ مُناقَشاتٍ قَدْ تَكُوْنُ حادَّةً ، وقَدْ يُوْمِئُ هذا الاسْتِغْناءُ عَنِ هذا المُفَسِّرِ إلى الرَّغْبَةِ في تَحْقِيْرِهِمْ ، والحَطِّ مِنْ مَكانَتِهِمْ الاجْتِماعِيَّةِ ، وإِذْلالِهِمْ ، على أَلاَّ يَتَوَهَّمَ مُتَوَهِّمٌ أَنَّ تَرْكَ هذا المُفَسِّرِ ، أَوِ الإِبْهامَ يُوْمِئُ إلى الرَّغْبَةِ في إِعْلاءِ مَكانَةِ هؤُلاءِ الكُفّارِ ، وتَفْخِيْمِها .

وهذا الضَّمِيْرُ إِحالَتُهُ خارِجِيَّةٌ ؛ لأَنَّ المُحالَ إِلَيْهِ لَيْسَ مَذْكُوْراً ؛ لأَنَّهُمْ كُفّارُ مَكَّةَ الَّذِيْنَ وُسِمُوا بالعِنادِ ، والكُفْرِ، ومُعادَاةِ الدِّيْنِ الإِسْلامِيِّ ، وإِنْكارِ يَوْمِ البَعْثِ، أَوِا لقُرْأنِ الكَرِيْمِ ، أَوْ عَدَمِ تَصْدِيْقِ الرَّسُوْلِ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وتُوْمِئُ هذِهِ الإِحالَةُ كما مَرَّ إِلى إِهْمالِهِمْ ، والحَطِّ مِنْ قَدْرِهِمْ ؛ لأَنَّ التَّصْرِيْحَ بِهِمْ يُكْسِبُهُمْ أَهَمِيَّةً ، فهُمْ نَكِراتٌ لا يُوْلَوْنَ أَيَّ اهْتِمامٍ ، أَوْ عِنايَةٍ ، ويُمْكِنُ أَنْ يُقالَ إِنَّ لَهُمْ ذِكْراً في مَواضِعَ أُخْرَى في القُرْآنِ الكَرِيْمِ ولا سِيَّما في السُّوَرِ الَّتي نَزَلَتْ قَبْلَ هذِهِ السُّوْرَةِ ، وهُوَ ذِكْرٌ جَعَلَهُمْ مَعْرُوْفِيْنَ ، ولذلِكَ يُعَدُّ التَّرْكُ فَضْلاً عَمَّا مَرَّ يُحَقِّقُ تَخْفِيْفاً ، وإِيْجازاً . ومِمَّا لَمْ يُذْكَرْ فِيْهِ هذا المُفَسِّرُ في القُرْآنِ الكَرِيْمِ قَوْلُهُ تَعالَى :

---

(١) انظر : الشهاب ، حاشية الشهاب على تفسير البيضاويّ : ٣٠١/٨ ، الزمخشريّ ، الكشّاف : ٣٠٤/٣ ، مكّيّ بن أَبي طالب القيسيّ ، مشكل إعراب القرآن : ٤٤٩/٢ ، أَبو حيّان ، البحر المحيط : ٤١١/٨.

" إِنَّا أَنْزَلْناهُ في لَيْلَةِ القَدْرِ "(١) ، على أَنَّ المُرادَ القُرْآنُ ، وقَوْلُهُ : " حَتَّى تَوارَتْ بالحِجابِ "(٢) ، على أَنَّ المُرادَ الشَّمْسُ ، وقَوْلُهُ : " كَلاّ إِذا بَلَغَتِ التَّراقِيَ "(٣) ، على أَنَّ المُرادَ الرُّوْحُ .

ويُمْكِنُ أَنْ يَكُوْنَ الضَّمِيْرُ في الأَصْلِ ضَمِيْرَ المُخاطَبِيْنَ بحَمْلِهِ على الالْتِفاتِ، وهُوَ التِفاتٌ المُرادُ مِنْهُ الحَطُّ مِنْ شَأْنِهِمْ ، وقَدْرِهِمْ ، فكَأَنَّهُمْ لَيْسُوا مُخاطَبِيْنَ ؛ لأَنَّهُمْ ليْسُوا قُمَناءُ بهذا الخِطابِ الإِلَهِيِّ .

والفاعلُ في العَرَبِيَّةِ يُعَدُّ رُكْنا رَئِيساً في الجُمْلَةِ الفِعْلِيَّةِ ، ومَنْظُوْراً رَئِيساً في النَّحْوِ الوَظِيْفِيِّ ، يَحْمِلُ وَظِيْفَةً تَداوُلِيَّةً داخِلِيَّةً هيَ وَظِيْفَةُ المِحْوَرِ الَّذيْ يَحْمِلُ المَعْلُوْمَةَ الرَّئِيْسَةَ المُرادَةَ ، والمَفْعُوْلُ بِهِ يُعَدُّ في النَّحْوِ العَرَبِيِّ فَضْلَةً ، ومَنْظُوْراً ثانَوِيّاً قَدْ يَحْمِلُ وَظِيْفَةً داخِلِيَّةً هي وَظِيْفَةُ بُؤْرَةِ المُقابَلَةِ ، أَوْ وَظِيْفَةَ المِحْوَرِ بقُيُوْدٍ.

وفيْ تَعَلُّقِ الجارِّ والمَجْرُوْرِ (عَمَّ) ثَلاثَةُ أَقْوالٍ :

(أ) أَنَّهُ يَتَعَلَّقُ بالفِعْلِ (يَتَساءَلُوْنَ) بَعْدَهُ ، على اَنَّ الجارَّ والمُجْرُوْرَ (عَنِ النَّبَأِ العَظِيْمِ) بَدَلٌ مِنْ (عَمَّ) ، على أَنَّ هَمْزَةَ الاسْتِفْهامِ مَنْوِيَّةٌ ، والتَّقْدِيْرُ : أَعَنِ النَّبَأِ العَظِيْمِ ؟ ، وقِيْلَ إِنَّهُ لا مُحْوِجَ إِلى إِعادَةِ هذِهِ الهَمْزَةِ ؛ لأَنَّ الاسْتِفْهامَ لَيْسَ حَقِيْقِيّاً كما مَرَّ ، والبَدَلُ هُوَ المَقْصُوْدُ لذاتِهِ على أنّ المُبْدَلَ مِنْهُ جِيْءَ بِهِ تَوْطِئَةً ، وتَمْهِيْداً ، وتَشْوِيْقاً لذِكْرِ البَدَلِ الَّذيْ يُعَدُّ مُوَضِّحاً للمُبْدَلِ مِنْهُ ، والبَدَلُ في النَّحْوِ الوَظِيْفِيِّ يُعَدُّ ذَيْلاً مِنْ أَنْواعِ الرَّبَضِ ، وهذا الذَّيْلُ يَحْمِلُ وَظِيْفَةً تَداوُلِيَّةً خارِجِيَّةً بالنِّسْبَةِ للحَمْلِ ، أَوْ لَيْسَ مِنْ مُكَوِّناتِ الحَمْلِ ، أَوِ الجُمْلَةِ الفِعْلِيَّةِ .

---

(١) القَدر : ١ .

(٢) ص : ٣٢ .

(٣) القِيامة : ٢٦ .

(ب) أَنَّهُ يَتَعَلَّقُ بالفِعْلِ بَعْدَهُ (يَتَساءَلُوْنَ) ، على أَنَّ الجارَّ والمَجْرُوْرَ بَعْدَهُ (عَنِ النَّبَأِ العَظِيْمِ) يَتَعَلَّقُ بفِعْلٍ آخَرَ مَحْذُوْفٍ تَقْدِيْرُهُ : يَتَساءَلُوْنَ عَنِ النَّبَأِ .

(ج) أَنَّهُ يَتَعَلَّقُ بفِعْلٍ مُضْمَرٍ بَعْدَهُ يُفْهَمُ مِنَ الفِعْلِ بَعْدَهُ ، والتَّقْدِيْرُ : عَمَّ يَتَساءَلُوْنَ، يَتَساءَلُوْنَ عَنِ النَّبَأِ العَظِيْمِ ، على أَنَّ (يَتَساءَلُوْنَ عَنِ النَّبَأِ العَظِيْمِ) جَوابٌ (عَمَّ يَتَساءَلُوْنَ) ، وهُوَ قَوْلُ الزَّمَخْشَرِيِّ[1] ، وهُوَ تَأْوِيْلٌ فِيْهِ تَفْكِيْكٌ للنَّظْمِ ، وبُعْدٌ عَنِ المُرادِ ، على أَنَّ الأُوْلَى الحَمْلُ على البَدَلِ دُوْنَ إِعادَةِ الهَمْزَةِ ؛ لأَنَّ الاسْتِفْهامَ لَيْسَ حَقِيْقِيّاً .

وبَعْدُ فإِنَّ هذا العُنْوانَ دَلالَةً ، وسِيْمْياءً يَدُوْرُ في فَلَكَ المُعْنَى العامِّ في هذِهِ السُّوْرَةِ مِنْ حيْثُ تَهْدِيْدُ كُفَّارِ مكَّةَ ، ومُنافِقِيْها ، واحْتِقارُهِمْ ، والاسْتِهْزاءُ بِهِمْ ؛ لأَنَّهُمْ يُنْكِرُوْنَ البَعْثَ ، ولا يَعْتَرِفُوْنَ بأَنَّ القُرْآنَ كَلامُ اللَّهِ ، ولا يُصَدِّقُوْنَ الرَّسُوْلَ فَضْلاً عَنْ تَعْذِيْبِهِمْ لَهُ .

(ج) سُوْرَةُ عَمَّ :

يَتَرَكَّبُ هذا العُنْوانُ مِنْ عُنْصُرَيْنِ ، كما مَرَّ في العُنْوانِ (عَمَّ يَتَساءَلُوْنَ) هُما :

(١) حَرْفُ الخَفْضِ (عَنْ) ، وهُوَ حَرْفٌ يُنْبِئُ عَنِ المُجاوَزَةِ ، كما مَرَّ .

(٢) اسْمُ الاسْتِفْهام (ما) ، كما مَرَّ .

ويَظْهَرُ لي أَنَّ هذا العُنْوانَ يُوْسَمُ بالاخْتِصارِ ، والإِيْجازِ ، والتَّخْفِيْفِ رُتْبَتُهُ في الخِفَّةِ بَعْدَ (النَّبَأِ) ، و (التَّساؤُلِ) لتَرَكُّبِهِ مِنْ عُنْصُرَيْنِ يَتَعَلَّقانِ بالفِعْلِ بَعْدَهُما (يَتَساءَلُوْنَ) ، وتَتَبَدَّى أَهَمِّيَّةُ هذا العُنْوانِ أَيْضاً مِنْ خِلالِ احْتِلالِهِ الرُّتْبَةَ الأُوْلى في الآيَةِ الأُوْلَى (عَمَّ يَتَساءَلُوْنَ) ، وهِيَ رُتْبَةٌ تَكْسِبُهُ اهْتِمامَ القارِئِ

---

(١) انظر : الشهاب ، حاشية الشهاب على تفسير البيضاويّ : ٣٠٠/٨ ، الزّمخشريّ ، الكشّاف : ٣٠٤/٣ ، أبو حيّان النّحويّ ، البحر المحيط : ٤١١/٨ ، العكبريّ ، التبيان في إعراب القرآن : ١٢٦٦/٢ .

تَوْكِيْداً ، على أَنَّ هذا المُقَدَّمَ يَحْمِلُ وَظِيْفَةَ بُؤْرَةِ الجَدِيْدِ في النَّحْوِ الوَظِيْفِيِّ الَّتي تُوْمِئُ في الحَقِيْقَةِ إلى أَنَّ المُتَكَلِمَ يَجْهَلُ المَسْؤُوْلَ عَنْهِ ، على الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ هذا المَسْؤُوْلَ عَنْهُ بَيِّنٌ ؛ لأَنَّ السَّائِلَ اللَّهُ عَلاَّمُ الغُيُوْبِ ، ولذلِكَ عُدَّ الاسْتِفْهامُ مُوْمِئاً إلى الذَّمِّ ، والاحْتِقارِ ، والتَّقْبِيْحِ ، وغَيْرِ ذلِكَ مِمَّا يُمْكِنُ أَنْ يَتَبَدَّى مِنْ قُوَّتِهِ الإِنْجازِيَّةِ .

(د) سُوْرَةُ التَّساؤُلِ :

التَّساؤُلُ : مَصْدَرُ الفِعْلِ (يَتَساءلُ) المَذْكُوْرُ في الآيَةِ الأُوْلَى ، أَوِ البُؤْرَةِ الاسْتِفهامِيَّةِ ، ويَتركبُ مِنْ عُنصرَيْنِ هُما :

(١) حَرْفُ التَّعْرِيْف : قِيْلَ إِنَّ حَرْفَ التَّعْرِيْفِ اللاَّمُ وَحْدَها ، على أَنَّ أَلِفَ الوَصْلِ زائِدَةٌ ، وهُوَ قَوْلُ جُمْهُوْرِ النَّحْوِيِّيْنَ ، وإِنَّهُ الأَلِفُ واللاَّمُ ، وهَوَ قَوْلُ الخَلِيْلِ مُتَّكِئاً على قَطْعِها في : يا أَلَّهُ ، والوَقْفِ عليها مِنْ غَيْرِ ما بَعْدَها كما في (قَدْ) ، وعَدَمِ انْفِصالِ الأَلِفِ عَنْها ، وقطْعِها في أَوَّلِ الكَلامِ ، وسُقُوْطِها في وَصْلِهِ لكَثْرَةِ الاسْتِعْمالِ ، وهذِهِ المُبَرِّراتُ تَصَدَّى اللُّغَوِيُّوْنَ لرَدِّها[1] . ولَها نَوْعانِ مِنْ حَيْثُ الأَصالَةُ الَّتي لا بُدَّ مِنْها فيها ، والاسْتِغْناءُ عَنْها ، والنَّوْعُ الأَوَّلُ تَكُوْنُ فيْهِ اسْماً موْصُوْلاً بمَعْنَى الَّذيْ ،كما في المُشْتَقَّاتِ (اسْما الفاعِلِ ، والمَفْعُوْل) ، على أَنَّ صِلَتَها المُشْتَقُّ الَّذي يَسْتَتِرُ فيهِ ضَمِيْرٌ يَعُوْدُ عليْها ، وأَنَّ وَصْلَها بالجُمْلَتَيْنِ الفِعْلِيَّةِ ، والاسْمِيَّةِ مَحْمُوْلٌ على أَنَّها بَقِيَّةُ الَّذي ، وتَكُوْنُ حَرْفاً في الأَسْماءِ غَيْرِ المُشْتَقَّاتِ كالرَّجُلِ ، والغُلامِ ، وهذا الاسْمُ قَدْ تَكُوْنُ فيْهِ للجِنْسِ، أَوِ الحُضُوْرِ ، أَوِ العَهْدِ. والزَّائِدَةُ تَكُوْنُ لازِمَةً كما في : اللاَّتِ ، والعُزَّى ، والآَن ، والَّتي ، والعلَمِ المُنْقُوْلِ مِنْ لَفْظَةٍ تَشْتَمِلُ علَيْها كالكاتِبِ ، والعَمْرِ ، وأَضْرابِهِما ، والحالِ كما في : ادْخُلُوا الأَوَّلَ الأَوَّلَ ، وغَيْرَ لازِمَةٍ كما في

---

(١) انظر المالقيّ ، رصف المباني : ٢٧ – ٧٣ .

الصِّفاتِ ، والمَصادِرِ المُسَمّى بِها ، على أَنَّها للمْحِ الصِّفَةِ كالحَسَنِ ، والفَضْلِ ، والعدَدِ وتَمْيِيْزِهِ .

والأَلِفُ واللاَّمُ في هذا العُنْوانِ تَكُوْنُ للعَهْدِ ، أَوْ للتَعْرِيْفِ ، أَوْ للجِنْسِ على أَنَّ هذا التَّساؤُلَ مَصْدَرُهُ كُفَّارُ مَكَّةَ ، ومُنافِقُها .

(٢) المَصْدَرُ : تَساؤُل : فِعْلُ هذا المَصْدَرِ : تَساءَلَ يَتَساءَلُ تَساؤُلاً ، وهُوَ مَصْدَرٌ يُنْبِئُ دَلالَةً عَمَّا يُمْكِنُ أَنْ يُنْبِئَ عَنْهُ فِعْلُهُ ، كما مَرّ .

(ج) سُوْرَةُ المُعْصِراتِ :

هذا العُنْوانُ لَفْظَةٌ وَرَدَتْ في الآيَةِ الرَّابِعَةَ عَشْرةَ مِنْ هذهِ السُّوْرَةِ : " وأَنْزَلْنا مِنَ المُعْصِراتِ ماءً ثَجَّاجاً "(١) ، وهِيَ ، كما في مَظانِّ التَّفْسِيْرِ(٢) : السَّحائِبُ الَّتي حانَ لَها أَنْ نُمْطِرَ كالجارِيَةِ المُعْصِرِ الَّتي قَرُبَ وَقْتُ حَيْضِها ، والَّتي أَوشَكَتْ أَنْ تَعْصِرَها الرِّياحُ ، فتُمْطِرَ . ، والسَّحائِبُ الَّتي تَجْلِبُ المَطَرَ ،والرِّياحُ إِذا حانَ لَها أَنْ تَعْصِرَ السَّحابَ ، والسَّمواتُ ؛ لأَنَّ المَطَرَ مِنْها ، وقِيْلَ إِنَّ هذا المَعْنَى غَرِيْبٌ ،والمُغِيْثاتُ ؛ لأَنَّها تُغِيْثُ ، والقاطِراتُ . والغُيُوْمُ .

ويَتَرَكَّبُ هذا العُنْوانُ مِنْ عُنْصُرَيْنِ :

- الأَلِفُ ، واللاَّمُ : اللاَّمُ كما مَرَّ تُعَدُّ اسْماً مَوْصُوْلاً لاقْتِرانِها باسْمِ الفاعِلِ: مُعْصِرات .

- مُعْصِرات : المُعْصِراتُ : جَمْعُ مُعْصِرَةٍ ، وهِيَ اسْمُ فاعِلٍ مِنْ : أَعْصَرَهُ ، على أَنَّ الهَمْزَةَ فيهِ تُنْبِئُ عَنِ المُبالَغَةِ ؛ لأَنَّهُ يُقالُ : عصَرَهُ ، وأَعْصَرَهُ إِذا عُدَّ فِعْلُها مُتَعَدِّياً ، على أَنَّ التَّقْدِيْرَ : تَعْصُرُ الرِّياحَ . وهذا الجَمْعُ يُنْبِئُ عَنِ الكَثْرَةِ

---

(١) النّبأ : ١٤ .

(٢) انظر : أَبو حيّان النّحويّ ، البحر المحيط : ٣٠٨/٨ ، الزبيديّ ، تاج العروس ، عصر : ٦٤/١٣ - .

لاقْترانِه بالأَلِفِ واللاَّمِ فَضْلاً عَنْ كَوْنِها جَمْعاً بالأَلِفِ والتَّاءِ ؛ لأَنَّهُ يَدُلُّ على القِلَّةِ غَيْرَ مُقْتَرِنٍ بهِما إِذا لَمْ تُوْجَدْ قَرِيْنَةٌ تُصَيِّرُهُ دالاً على الكَثْرَةِ .

والأَصْلُ أَنْ يَكُوْنَ بِناءُ هذِهِ اللَّفْظَةِ : مُعْصَرَاتٍ (اسْمُ مَفْعُوْلٍ ، وجَمْعُ : مُعْصَرَةٍ) ، وفي تَأْوِيْلِ هذا الانْزِياحِ من اسْمِ الفاعِلِ إِلى اسْمِ المَفْعُوْلِ أَوْجُهٌ :

- أَنَّها مِنْ : أَعْصَرَ ، على أَنَّ الهَمْزَةَ للحَيْنُوْنَةِ ، والمُرادُ : حانَ وَقْتُ الإِعْصارِ، كما في : أَحْصَدَ الزَّرْعُ (حانَ وَقْتُ حَصادِهِ .
- أَنَّها مِنْ أَعْصَرَ المُتَعَدِّيْ إِلى مَفْعُوْلٍ ، والتَّقْدِيْرُ : المُعْصِراتِ السَّحائِبَ ، على أَنَّ المُرادَ : الرِّياحُ .
- أَنَّها مِنْ : أَعْصَرَ المُتَعَدِّي إِلى مَفْعُوْلٍ بِهِ مَحْذُوْفٍ ، على أَنَّ المُرادَ : المُغِيْثاتُ ، والتَّقْدِيْرُ : المُغِيْثاتُ النَّاسَ بالأَمْطارِ .
- أَنَّها مِنْ : أَعْصَرَ المُتَعَدِّيْ إِلى مَفْعُوْلٍ بِهِ مَحْذُوْفٍ ، تَقْدِيْرُهُ : المُعْصِراتُ الرِّياحَ ، كما يَظْهَرُ لي ، وهِيَ مَسْأَلَةٌ يُمْكِنُ عَدُّها مِنْ بابِ القَلْبِ الإِعْرابِيِّ ،أو الانْزِياحِ مِنْ بناءِ اسْمِ المَفْعُوْلِ إِلى بْناءِ اسْمِ الفاعِلِ إِيْماءً إِلى كَثْرَتِها ، وقُوَّتِها، وشِدَّتِها ، فكَأَنَّها تَعْصُرُ الرِّياحِ .
- أَنَّها اسْمُ فاعِلٍ ، على أَنَّ المُرادَ أَنَّها مَكَّنَتِ الرِّياحَ مِنْ عَصْرِها ، وإِنْزالِ مَطَرِها .

ومِمَّا يُعَزِّزُ الانْزِياحَ مِن اسْمِ المَفْعُوْلِ إِلى اسْمِ الفاعِلِ القِراءَةُ "بالمُعْصِرَاتِ"[1] .

ويَتَبَيَّنُ لَنا أَنَّ هذا العُنْوانَ يُنْبِئُ سِيْمْيائِيّاً عَنْ أَنَّ إِنْكارَ هؤُلاءِ الكُفَّارِ ، والمُنافِقِيْنَ لِيَوْمِ القِيامَةِ ، أَوِ ما جاءَ بِهِ القُرْآنُ ، والرَّسُوْلُ علَيْهِ السَّلامُ سَيُفْضِيْ

---

(١) انظر : الشهاب ، حاشية الشهاب على تفسير البيضاويّ : ٣٠٣/٧ ، السمين الحلبيّ ، الدرّ المصون : ٤٦٢/٦ ، الزمخشريّ ، الكشاف : ٣٠٥/٣ ، أبو حيان النّحوي ، البحر المحيط : ٤١١/٨- ٤١٢ ، ابن جنّي ، المحتسب : ٣٤٧،٢ .

تأصيل | T’aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

إِلى أَنَّهُمْ سَيَكُوْنُوْنَ في أَسْوأِ حالٍ في هذا اليَوْمِ بما فِيْهِ مِنْ أَفْزاعٍ وشَدائِدَ ؛ لأَنَّ عَلاَّمُ الغُيُوْبِ لا تَخْفَى عليْهِ أَعْمالُهُمْ ، وإِنْكارُهُمْ لِما مَرَّ ، ولذلكَ يَكْشِفُ لَهُمْ أَدِلَّةً بَيِنَةً جَلِيَّةً على قَدْرَتِهِ ، ونِعَمِهِ ؛ ليَتَّعِظُوا ، منْها إِنْزالُ المياهِ الغَزِيْرةِ مِنَ السُّحُبِ المُحَمَّلَةِ بِها ، وخَلْقُهُ الإِنْسانَ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، والنَّاسَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ ، وغَيْرُ ذلكَ .

ويُوْمِئُ اخْتِيارُ (المُعْصِراتِ) عُنْواناً لهذهِ السُّوْرَةِ ، وإِيْثارُهُ على غَيْرِهِ مِنَ العَناوِيْنِ الأُخْرَى إِلى أَنَّ هذهِ اللَّفْظَةَ بِما تَحْمِلُهُ مِنْ مَعانٍ ظاهِرَةٍ ، وسِيْمْيائِيَّةٍ تَكْمُنُ في إِنْزالِ المِياهَ الغَزِيْرَةَ مِنَ السُّحُبِ – تُعَدُّ مُهِمَّةً لِما لَها مِنْ أَثَرٍ رَئِيْسٍ في حَياةِ البَشَرِ ، إِذْ لَوْلا هذهِ المِياهُ لَما كانَ في الكَوْنِ حَياةٌ ، وما لَهُ وَشِيْجٌ بِها ، وعلى الرَّغْمِ مِنْ ذلكَ فإِنَّ كُفَّارَ مكَّةَ ، ومُنافِقِيْها لَمْ يَرْتَدِعُوا ، ويَتَّعِظُوا عِناداً ، وإِصْراراً على عَدَمْ رَغْبَتِهِمْ في تَرْكِ عِبادَةِ آبائِهِمْ ، وأَجْدادِهِمْ للأَصْنامِ الَّتي لا تَضُرُّ ، ولا تَنْفَعُ ، وهِيَ مَسْأَلَةٌ لا تَخْفَى على ذَوِيْ الأَلْبابِ .

(٧) سِيْمْيائِيَّةُ العُنْوانِ في : سوْرَةُ الإِنْسانِ ، سُوْرَةُ الدَّهْرِ ، سُوْرَةُ الأَمْشاجِ ، سُوْرَةُ الأَبْرارِ ، سُوْرَةُ هل أَتَى، وسُوْرَةُ هلْ أَتى على الإِنْسانِ :

لهذهِ السُّوْرَةِ كما في كُتُبِ التَّفْسِيْرِ ، والمَصاحِفِ سِتَّةُ عَناوِيْنَ يَدُوْرُ ما تُنْبِئُ عَنْهُ في فَلَكِ مَعْنَى السُّوْرَةِ العامِّ ، وقِيْلَ إِنَّها سُمِّيَتْ في زَمَنِ أَصْحابِ الرَّسُوْلِ عليْهِ السَّلامُ (هَلْ أَتَى على الإِنسانِ) ، وسَمَّاها السُّيُوْطِيُّ في (الإِتْقان غي علوم القرآن) : (سُوْرَةَ الإِنْسان) ، وإِنَّها تُسَمَّى في كَثِيْرٍ مِنَ المَصاحِفِ (سُوْرَةُ الدَّهْرِ) ، وذَكَرَ الشِّهاب الخَفاجيْ أَنَّها تُسَمَّى (سُوْرَةُ الدَّهْرِ ، والأَمْشاجِ، وهَلْ أَتَى) ، وذَكَرَ الطَّبَرْسِيُّ أَنَّها تُسَمَّى (سُوْرَةُ الأَبْرارِ)[1] :

---

(١) انظر : ابن عاشور ، تفسير التّحرير والتَنوير : ٣٤٣/٣٩ ، الشهاب ، حاشية الشهاب على تفسير البيضاويّ : ٢٨٥/٧ .

سيميائية العنوان

(أ) سُورَةُ الإِنْسانِ :

يَتَكَوَّنُ هذا العُنْوانُ مِنْ عُنْصُرَيْنِ هُما :

(١) الأَلِفُ واللاَّمُ : لَقَدْ مَرَّ الحَدِيْثُ عَنْ هذا الحَرْفِ مِنْ حَيْثُ البَساطَةُ ، والتَّرْكِيْبُ ، وكَوْنِه اسْماً مَوْصُلاً ، وحَرْفاً ، فهُوَ في هذا العُنْوانِ حَرْفٌ لاقْتِرانِهِ بلَفْظَةِ لَيسَتْ مُشْتَقَّةً (الإِنْسان) ، وفيهِ قَوْلانِ :

– أَنَّهُ لاستِغْراقِ الجِنْسِ الَّذي يَشْمَلُ آدَمَ وبَنِيْهِ لا آدَمَ وَحْدَهُ : وهُوَ قَوْلٌ ضُعِّفَ بقَوْلِه تَعالَى : " إِنَّا خَلَقْنا الإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ ... "[1] ؛ لأَنَّ آدَمَ لَمْ يُخْلَقْ مِنْ نُطْفَةٍ بَلْ خُلِقَ مِنْ طِيْنٍ ، وعَلَيْهِ فإِنَّ (أَل) لاسْتِغْراقِ الجِنْسِ جِنْسِ الإِنْسانِ الَّذيْ خُلِقَ مِنْ نُطْفَةٍ ، على أَنَّ المُرادَ كُلُّ إِنْسانٍ . وذَهَبَ الشِّهابُ إِلى أَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَشْمَلَ آدَمَ وبَنِيْهِ اتِّكاءً على التَّغْلِيْبِ : " فإِذا أُرِيْدَ الجِنْسُ فإِمَّا أَنْ يَكُوْنَ جِنْسَ بَنِيْ آدَمَ ، وهُوَ خارِجٌ ، أَوْ داخِلٌ بتَغْلِيْبِ غَيْرِهِ عَلَيْهِ ، أَوْ يُجْعَل ما للأَكْثَرِ للكُلِّ مَجازاً في الإِسْنادِ ... [2] .

– أَنَّهُ لاسْتِغْراقِ جِنْسِ مَنْ خُلِقَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ ، أَوْ أَخْلاطٍ ، على أَنَّ المُرادَ الإِيْماءُ إِلى تَحْقِيْرِهِ ، وهُوَ تَحْقِيْرٌ لا يَسمَحُ لَهُ بالتَّعالي ، والإِنْكارِ ، والكُفْرِ .

– أَنَّ الإِنْسانَ أَدَمُ لا بَنِيْهِ ، على أَنَّ (أَل) عَهْدِيَّةٌ كما يَظْهَرُ لي قَبْلَ نَفْخِ الرُّوْحِ وهُوَ مُلْقًى بَيْنَ مَكَّةَ والطَّائِفِ ، كما قِيْلَ ، وقِيْلَ إِنَّهُ خُلِقَ مِنْ طِيْنٍ ، فأَقامَ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً ، ثُمَّ مِنْ حَمَأٍ مَسْنُوْنٍ ، فأَقامَ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً ، ثُمَّ مِنْ صَلْصالٍ ، فأَقامَ أَرْبعهِيْنَ سَنَةً ، وذَهَبَ جُمْهُوْرُ المُؤَرِّخِيْنَ إِلى أَنَّهُ صُوِّرَ في السَّماءِ ، وعلى بابِ الجَنَّةِ ، فكانَتِ المَلائِكَةُ تَمُرُّ بِهِ ، وتَتَعَجَّبُ مِنْهُ ، وقِيْلَ إِنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُوْنَ صُوِّرَ في الأَرْضِ ،ثُمَّ رُفِعَ إِلى السَّماءِ .

---

(١) الإِنسان : ٢ .

(٢) الشهاب ، حاشية الشهاب : ٢٨٦/٧ .

(٢) إِنْسان : لهذِهِ اللّفْظَةِ في العَرَبِيَّةِ خمْسَةُ مَعانٍ[١] : الأنْمُلَةُ : مِنْ ذلِكَ قَوْلُ الشّاعِرِ :

تَمْرِيْ بِإِنْسانِها إِنْسانَ مُقْلَتِها إِنْسانَةٌ في سَوادِ اللَّيْلِ عُطْبُوْلُ

وقَوْلِ الآخَرِ :

أَشارَتْ لِإِنْسانٍ بِإِنْسانِ كَفِّها لتَقْتُلَ إِنْساناً بِإِنْسانِ عَيْنِها

وظِلُّ الإِنْسانِ ، رَأْسُ الجَبَلِ ،والأَرْضُ الّتي لَمْ تُزْرَعْ، والمِثالُ الَّذي يُرَى في سَوادِ العَيْنِ .

وجَمْعُهُ : ناسٌ ، وأَناسِيُّ ، على أَنَّ الياءَ بَدَلٌ مِنَ النُّوْنِ ، وقِيْلَ إِنَّ الإِنْسانَةَ لُغَةٌ عامِيَّةٌ ، وهِيَ قَلِيْلَةٌ .

والإِنْسانُ في هذهِ السُّوْرَةِ آدَمُ ، ، أَوْ جِنْسُهُ ، على الأَرْجَحَ ، وعلى أَنَّهُ الإِنْسانُ المَخْلُوْقُ لا آدَمُ لِقَوْلِهِ تَعالَى في السُّوْرَةِ نَفْسِها : " إِنَّا خَلَقْنا الإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ نَبْتَلِيْهِ ... "[٢] ، ولأَنَّ الغايَةَ مِنْ هذهِ الأيةِ تَكْمُنُ في الإِنْباءِ عَنْ تَحقِيْرِ هذا الإِنْسانِ لكَوْنِهِ مَخْلُوْقاً مِنْ نُطْفَةٍ أَخْلاطٍ [٣] .

(ب) سُوْرَةُ الدَّهْرِ :

قِيْلَ إِنَّ الدَّهْرَ قَدْ يُعَدُّ مِنَ الأَسْماءِ الحُسْنَى على وَفْقِ ما في الحَدِيْثِ الصَّحِيْحِ الَّذي رَواهُ أَبُوْ هُرَيْرَةَ ، ورَفَعَهُ إِلى اللّهِ ، قالَ اللَّهُ تَعالَى : " يُؤْذِيْنِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ ، وإِنَّما أَنا الدَّهْرُ ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ ، والنَّهارَ"[٤] ، وفي حَدِيْثٍ آخَرَ : " لا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ " ، وفي رِوايَةٍ أُخْرَى : " فإِنَّ الدّهْرَ

---

(١) انظر : الزبيديّ ، تاج العروس ، أنس : ٤١٢/١٥ .

(٢) الإنسان : ٢ .

(٣) انظر : ابن جزّي الكلبيّ ، التسهيل لعلوم التنزيل (المكتبة الشّاملة – الشبكة العنكبوتيّة) : ٦٣٠/٣ .

(٤) الزبيديّ ، تاج العروس ، دهر ، ٢٤٣/١١ .

هُوَ اللَّهُ تَعالَى " ، وهُوَ حَدِيْثٌ أَنْكَرَهُ شَيْخُ الزَّبِيْدِيِّ ، وأَنْكَرَهُ ابْنُ حَجَرٍ ، وعِياضٌ، وغَيْرُهُمْ ، وللمُفَسِّرِيْنَ ، وبَعْضِ الفُقَهاءِ ، والإِئِمَّةِ مَواقِفُ مِنْ هذا الحَدِيْثِ قَدْ تَكُوْنُ مُتَباينَةً دَوَّنَها الزَّبِيْدِيُّ في (تاجِ العروس) مَنْها : إِنْكارُ بَعْضِهِمْ لَهُ ، وإِخْضاعُ بَعْضٍ آخَر لَهُ لسُلْطانِ التَّأْوِيْلِ ، ومِنْ هؤُلاءِ الجَوْهَرِيُّ(١) الَّذي ذَهَبَ إِلى أَنَّ مَعْنَى (لا تَسُبُّوا الدَّهْرَ) : أَنَّ ما أَصابَكَ مِنَ الدّهْرِ اللّهُ فاعِلُهُ لا الدَّهْرُ ، فإِذا شَتَمْتَ بِهِ الدَّهْرَ فكَأَنَّكَ أَرَدْتَ بِهِ اللَّهَ ؛ لأَنَّ العَرَبَ كانُوا يَنْسِبُوْنَ المَصائِبَ ، والنَّوازِلَ إِلى الدَّهْرِ ، ولذلِكَ قِيْلَ لَهُمْ : لا تسُبُّوا فاعِلَ ذلِكَ بِكُمْ ؛ لأَنَّ الفاعِلَ اللّهُ تَعالَى ، وذَكَرَ الأَزْهَرِيُّ أَنَّ تَأْوِيْلَهُ عِنْدَ أَبي عُبَيْدٍ : " وتَأْوِيْلُهُ عِنْدِيْ أَنَّ العَرَبَ كانَ مِنْ شَأْنِها أَنْ تَذُمَّ الدَّهْرَ ، وتَسُبَّهُ عِنْدَ الحَوادِثِ ، والنَّوازِلِ تَنْزِلُ بِهِمْ مِنْ مَوْتٍ ، أَوْ هَرَمٍ ، فيَقُوْلُوْنَ أَصابَتْهُمْ قَوارِعُ الدَّهْرِ ، وحَوادِثُهُ ، وأَبادَهُمُ الدَّهْرُ ، فيَجْعَلُوْنَ الدَّهْرَ الَّذي يَفْعَلُ ذلِكَ ، فيَذُمُّوْنَهُ ، وقَدْ ذَكَرُوا ذلِكَ في أَشْعارِهِمْ ، وأَخْبَرَ اللّهُ تَعالَى عَنْهُمْ بذلِكَ في كِتابِهِ العَزِيْزِ ، فنَهاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ ، وسَلَّمَ عنْ ذلِكَ ، وقالَ : لا تَسُبُّوا الدّهْرَ ، على تَأْوِيْلِ : لا تَسُبُّوا الَّذي يَفْعَلُ بِكُمْ هذِهِ الأَشْياء ، فإِنّكُمْ إِذا سَبَبْتُمْ فاعِلَها فإِنَّما يَقَعُ السّبُّ على اللّهِ ؛ لأَنَّهُ الفاعِلُ لَها لا الدّهْرُ ، فهذا وَجْهُ الحَدِيْثِ "(٢) ، وقَد فَسَّرَ الشَّافِعِيُّ هذا الحدِيْثَ كما فَسَّرَهُ أَبُوْ عُبَيْدٍ ، وهُوَ قَوْلٌ ظاهِرٌ يُمْكِنُ تَبَيُّنُهُ مِنْ أَقْوالٍ أُخْرَى أَيْضا ، كما يَظْهَرُ لي .

وقِيْلَ إِنَّ الدَّهْرَ عِنْدَ الجُمْهُوْرِ يَقَعُ على مُدَّةِ العالَمِ جَمِيْعِها ، وكُلِّ زَمانٍ طَوِيْلٍ غَيْرِ مُحَدَّدٍ ، أَوْ مُعيَّنٍ، ولهُ في العَرَبِيَّةِ مَعانٍ مِنْها : الزَّمَنُ قَلَّ ، أَوْ كَثُرَ ،

---

(١) انظر : الصحاح : دَهر ، تاج العروس ، دهر ، ٣٤٤/١١ ، الأَزهريّ ، تهذيب اللّغة : دهر .

(٢) الزبيديّ ، تاج العروس ، دهر : ٣٤٤/١١ – ٣٤٥ .

والزَّمانُ الطَّوِيْلُ ، والأَمَدُ ، ومِنْ بِدايَةِ وُجُوْدِ الإنْسانِ إلى انقِضائِهِ ، والنَّازِلَةُ ، والهِمَّةُ ، والإرادَةُ ، والغايَةُ ، والعادَةُ ، والغَلَبَةُ ، والدَّوْلَةُ .

ويَتَبَيَّنُ لَنا مِمَّا مَرَّ أَنَّ هذا العُنْوانَ يَدُوْرُ دَلالَةً في فَلَكِ مَعْنَى هذِهِ السُّوْرَةِ العامِّ ، وهُوَ مَعْنًى يَكْمُنُ في تَذْكِيْرِ اللّهِ بَنِيْ آدَمَ بِنِعَمِهِ عَلَيْهِمْ ، وهِيَ نِعَمٌ تَتَصَدَّرُها نِعْمَةُ خَلْقِهِمْ مِنَ العَدَمِ حَيْثُ لَمْ يَكُوْنُوا شَيْئاً ، وهِيَ مَسْأَلَةٌ تَفْرِضُ عَلَيْهِمْ سُلْطانَها مِنْ حَيْثُ وُجُوْبُ الإيْمانِ بالخالِقِ ، والإقْرارِ بوَحْدانِيَّتِهِ ، وهَجْرِ الإشْراكِ بِهِ ، على أَنَّ يَوْمَ البَعْثِ ، أَوِ القِيامَةِ واقِعٌ لا مَحالَةَ ، وهُوَ يَوْمٌ يَنالُ فِيْهِ المُؤْمِنُوْنَ الصَّادِقُوْنَ ثَوابَهُمِ ، والكافِرُوْنِ الجاحِدُوْنَ عِقابَهُمْ ، وتَفْرِضُ على كُفَّارِ مَكَّةَ ، ومُنافِقِيْها أَنْ يَهْجُروا مُعاداةَ الرَّسُوْلِ . وفي هذا العُنْوانِ إيْماءَةٌ إلى طَمْأَنَةِ الرَّسُوْلِ بِأَنَّهُ المُنْتَصِرُ عَلَيْهِمْ في نِهايَةِ الأَمْرِ ، وحَثٌّ لَهُ على مُواصَلَةِ دَعْوَتِهِ على الرَّغْمِ مِمَّا يُلاقِيْهِ مِنْهُمْ .

(ج) سُوْرَةُ الأَمْشاجِ :

ورَدَتْ لَفْظَةُ الأَمْشاجِ في الآيَةِ الثانِيَةِ مِنْ آياتِ هذِهِ السُّوْرَةِ : " إِنَّا خَلَقْنا الإنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ نَبْتَلِيْهِ فجعَلْناهُ سَمِيْعاً بَصِيْراً "(١) ، وهذِهِ اللَّفْظَةُ لَمْ تَرِدْ في أَيَّةِ سُوْرَةٍ أُخْرَى مِنْ سُوَرِ القُرْآنِ ، وهِيَ مَسْأَلَةٌ تُكْسِبُها أَهَمِّيَّةً ، ومَكانَةً عَمَّا يُمْكِنُ أَنْ تُنْبِئَ عَنْهُ مِنْ مَعانٍ ظاهِرَةٍ ، وسِيْمِيائِيَّةٍ .

والأَمْشاجُ فيهِ قَوْلانِ مِنْ حَيْثُ كَوْنُهُ جَمْعاً ، أَوْ مُفْرَداً :

(١) أَنَّهُ جَمْعُ تَكْسِيْرٍ للقِلَّة (أَفْعال) واحِدُهُ : مِشْجٌ كعِدْلٍ وأَعْدالٍ ، ومَشَجٌ كَسَبَبٍ وأَسْبابٍ ، ومَشِيْجٌ كيَتِيْمٍ وأَيْتامٍ ، وشَرِيْفٍ وأَشْرافٍ ، ومَشِجٌ ككَتِفٍ وأَكْتافٍ . ويُحْمَلُ وَصْفُ المُفْرَدِ ، وهُوَ (نُطْفَةٍ) بجَمْعِ التَّكْسِيْرِ (أَمْشاجٍ) على أَنَّ النُّطْفَةَ في مَعْنَى الجَمْعِ ؛ لأَنَّها تَشْتَمِلُ على ماءِ الرَّجُلِ ، والمَرْأَةِ ، وأَنَّ النُّطْفَةَ تَشْتَمِلُ

---

(١) الإنسان : ٢ .

على أَجْزاءٍ كُلُّ جُزْءٍ مِنْها نُطْفَةٌ ، كما في قَوْلِه تَعالَى : " مُتَّكِئِيْنَ على رَفْرَفٍ خُضْرٍ وعَبْقَرِيٍّ حِسانٍ [1] ، فيكُوْنُ المُفْرَدُ قَدْ نُزِّلَ مَنْزِلَةَ الجَمْعِ لأَهَمِّيَّتِه ، وقَدْ يُحْمَلُ على أَنَّ الجَمْعَ يُطْلَقُ على ما فَوْقَ الواحِدِ ، وهذا الواحِدُ يَشْتَمِلُ على ماءِ الرَّجُلِ ، والمَرْأَةِ .

(٢) أَنَّهُ مُفْرَدٌ لا جَمْعُ تَكْسِيْرٍ للقِلَّةِ ، وهُوَ قَوْلُ الزَّمخْشَرِيِّ[٢] ، فلا يَصِحُّ عِنْدَهُ أَنْ يَكُوْنَ المَشَجُ واحِداً لَهُ ؛ لأَنَّ كِلَيْهِما مُفْرَدٌ عِنْدَهُ ، كما في قَوْلِ الشَّمَّاخ :

طَوَتْ أَحْشاءَ مُرْتِجَةٍ لِوَقْتٍ على مَشَجٍ سُلالَتُهُ مَهِيْنُ

ومِمَّا يُعَدُّ مِنْ بابِ كَوْنِ الأَمْشاجِ مُفْرَداً عِنْدَهُ : بُرْماةٌ أَعْشارٌ(المُتَكَسِّرَةُ قِطَعاً قِطَعاً).

ويَظْهَرُ لي أَنَّ الأَوْلَى أَنْ تَكُوْنَ الأَمْشاجُ جمْعَ تَكْسِيْرٍ كما مَرَّ لا مُفْرَداً لقِلَّةِ بِناءِ (أَفْعالٍ) في المُفْرَداتِ ، وأَنَّ وَصْفَ المُفْرَدِ بالجَمْعِ يَدُلُّ على مَكانَتِه ، وأَهَمِّيَّتِه ، فالنُّطْفَةُ في اللَّفْظِ مُفْرَدٌ ، وفي الدَّلالَةِ جَمْعٌ .

والأَمْشاجُ : الأَخْلاطُ الَّتي تَتَكَوَّنُ مِنْ ماءِ الرَّجُلِ ، والمَرْأَةِ ، والدَّمِ ، والعَلَقَةِ ، أَوْ مِنْ مَنِيٍّ ودَمٍ ، كما في قَوْلِ رُؤْبَةَ :

يَطْرَحْنَ كُلَّ مُعْجَلٍ نَشَّاجِ

لَمْ يَكُنْ جِلْداً مِنْ دَمٍ أَمْشاجِ

وقِيْلَ إِنَّها الحَرارَةُ والبُرُوْدَةُ ، والرُّطُوْبَةُ واليُبُوْسَةُ ، وإِنَّ الأَخْلاطَ : اخْتِلاطُ الدَّمِ والبَلْغَمِ ، والصَّفْراءِ والسَّوْداءِ ، وماءُ الرَّجُلِ والمَرْأَةِ .

---

(١) الرّحمن : ٧٦ .

(٢) انظر : الكشاف : ١٩٤/٤ ، أبو حيّان النّحويّ ، البحر المحيط : ٣٩٤/٨ ، السمين الحلبيّ ، الدّر المصون : ٥٩١/١٠ ، سيبويه ، الكتاب : ١٧/٢ ، الشهاب ، حاشية الشهاب ٢٨٧/٨ ، الزبيديّ ، تاج العروس ، مشج : ٢١٤/٦ – ٢١٥ .

والفِعْلُ المُشْتَقَّةُ مِنْهُ هذِهِ اللَّفْظَةُ :مَشَجَ بَيْنَهُما يَمْشُجُ مَشْجاً (خَلَطَ) ، والمَشِيْجُ مِنْ بابِ (فَعِيْلٍ) بمَعْنَى (مَفْعُولٍ) .

وبَعْدُ فَيَتَبَيَّنُ لَنا مِمَّا مَرَّ أَنَّ هذا العُنْوانَ يَشْتَمِلُ على كَيْفِيَّةِ خَلْقِ للّهِ للإِنْسانِ، وهُوَ خَلْقٌ يَدُلُّ بوُضُوْحٍ على قُدْرَةِ الخالِقِ الَّتي لا تُضاهِيْها أَيَّةُ قُدْرَةٍ أَيّاً كانَتْ ؛ لأَنَّها تَقِفُ عاجِزَةً يَسْتَحِيْلُ علَيْها أَنْ تُوْجِدَ إِنْساناً ، وهذا الخَلْقُ يَتَحَدَّى بِهِ اللَّهُ كُفَّارَ مَكَّةَ ، ومُنافِقِيْها الَّذِيْنَ أَنْكَرُوا يَوْمَ البَعْثِ ، ووَقَفُوا في وَجْهِ الرَّسُوْلِ حِيْنَ دَعاهُمْ إلى الإِيْمانِ باللَّهِ ، وتَرْكِ الشِّرْكِ ، وتَعْذِيْبِ الرَّسُوْلِ ومَنْ آمَنَ بِهِ ، ومُقاطَعَتِهِمْ ، وحِصارِهِمْ ، وهذا العُنْوانُ فيْهِ وَعْدٌ للمُؤْمِنِيْنَ الصَّادِقِيْنَ ، ووَعِيْدٌ للكُفَّارِ المُعانِدِيْنِ ، وطَمْأَنَةُ الرَّسُوْلِ ، وتَسْلِيَتُهُ ، وحَثُّهُ على الصَّبْرِ ؛ لأَنَّ اللَّهُ قَدْ تَكَفَّلَ بنَصْرِهِ .

(د) سُوْرَةُ الأَبْرارِ :

هذا العُنْوانُ ذَكَرَهُ الطَّبَرْسِيُّ[1] ؛ لأَنَّ هذِهِ السُّوْرَةَ تَشْتَمِلُ على ما أُعِدَّ للأَبْرارِ مِنْ نَعِيْمٍ يَوْمَ القِيامَةِ ، أَوْ يَوْمَ البَعْثِ الَّذي أَنْكَرَهُ كُفَّارُ مَكَّةَ ، ومُنافِقُوْها كالطَّعامِ ، والشَّرابِ على وَفْقِ ما تَشْتَهِيْهِ أَنْفُسُهُمْ ، وغَيْرِ ذلِكَ. وهذِهِ اللَّفْظَةُ ذُكِرَتْ في هذِهِ السُّوْرَةِ بَعْدِ ذِكْرِ ما أُعِدَ للكُفَّارِ في هذا اليَوْمِ مِنْ عذابٍ : " إِنَّ الأَبْرارَ يَشْرَبُوْنَ مِنْ كَأْسٍ مِزاجُها كافُوْرا "[2] .

وهذا العُنْوانُ يُعَدُّ خَفِيْفاً في اللَّفْظِ كالعَناوِيْنِ الثَّلاثَةِ السَّابِقَةِ (الإِنْسان ، والدَّهْر ، والأَمْشاج) ، وهُوَ جَمْعُ تَكْسِيْرٍ للقِلَّةِ كالأَمْشاجِ واحِدُهُ : بَرٌّ (فَعْلٌ) ، وبارٌّ (فاعِلٌ) ، على أَنَّ البَرَّ : الكَثِيْرُ البِرِّ ، وهُوَ اسْمٌ مِنْ أَسْماءِ اللَّهِ الحُسْنَى، وقِيْلَ إِنَّ لَفْظَةَ الأَبْرارِ كَثِيْراً ما يَخْتَصُّ بها بالأَوْلِياءِ ، والزُّهَّادِ ، والعُبَّادِ ، وإِنَّ

---

(١) انظر : الطّاهر بن عاشُوْر ، تَفْسير التَّحرير ، والتّنوير : ٣٩/ ٣٤٣ (المكتبة الشّاملة – الشّبكة العنكبوتيَّة) .

(٢) الإِنسان : ٥ .

سيميائية العنوان

البَرَّ أَبْلَغُ مِنَ البارِّ كما أَنَّ العَدْلَ أَبْلَغُ مِنَ العادِلِ ، وإِنَّ المَلائِكَةَ خُصُّوا بالبَرَرَةِ ؛ لأَنَّ هذا الجَمْعَ (فعَلَة) أَبْلَغُ مِنَ الأَبْرارِ (أَفْعال) ، على أَنَّ واحِدَ البَرَرَةِ : بَرٌّ، وواحِدَ الأَبْرارِ : بارٌّ ، على الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ بِناءَ (فَعَلَة) جَمْعاً تَكْسِيْرِيّاً واحِدُهُ القِياسِيُّ صِفَةٌ لمُذَكَّرٍ عاقِلٍ مِنْ بابِ (فاعِلٍ) لَيْسَتْ مُعْتَلَّةَ اللاَّمِ كقاضٍ وقُضاةٍ ، ويُعَدُّ تَكْسِيْرُ بَرٍّ على : بَرَرَةٍ شاذّاً لا يُقاسُ عَلَيْهِ ، كتَكْسِيْرِ جَفْرٍ (مِنْ أَوْلادِ المَعْزِ) ، وعَبْدٍ عَلَيْهِ : جَفَرَةٌ ، وعَبَدَةٌ[1] ، ويُعَدُّ تَكْسِيْرُهُ على (أَفْعالٍ) مِنْ بابِ المَقِيْسِ لأَنَّهُ مُضَعَّفُ العَيْنِ ، إِذْ لَوْ كانَ غَيْرَ ذلِكَ وصَحِيْحَ العَيْنِ لكُسِّرَ على (أَفْعُلٍ)[2] .

ويَظْهَرُ لي أَنَّ هذا الانْزِياحَ مِنَ المَقِيْسِ (أَبْرار) إِلى غَيْرِ المَقِيْسِ يَعُوْدُ إِلى تَحْقِيْقِ أَمْنِ اللَّبْسِ فيي الدَّلالَةِ بَيْنَ المَلائِكَةِ والزُّهَّادِ ، والعُبَّادِ ، والأَوْلِياءِ فَضْلاً عَنْ أَنَّ البَرَّ مِنْ أَسْماءِ اللَّهِ الحُسْنَى ، وأَنَّ الأَبْرارَ جَمْعُ قِلَّةٍ ، والبَرَرَةَ جَمْعُ كَثْرَةٍ على الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الأَبْرارَ أَكْثَرُ مِنَ المَلائِكَةِ ، وهِيَ مَسْأَلَةٌ تُوْمِئُ إِلى مَكانَةِ المَلائِكَةِ ، أَو مَنْزِلَتِهِمْ الرَّفِيْعَةِ عِنْدَ اللَّهِ ، وهِيَ مَنْزِلَةٌ أَسْمَى ، وأَرْفَعُ ، ويُعَدُّ بِناءُ (أَفْعالٍ) أَكْثَرَ بِناءٍ تَكْسِيْرِيٍّ في القُرْآنِ الكَرِيْمِ ، ولَيْسَ بمُسْتَبْعَدٍ أَنْ يُوْمِئُ بِناءُ القِلَّةِ إِلى الاتِّحادِ ، والتَّعاوُنِ ، على أَنَّهُمْ في هذِهِ المَسْأَلَةِ على الرَّغْمِ مِنْ كَثْرَتِهِمْ مُتَّحِدُوْنَ لا خِلافَ بَيْنَهُمْ .

والأَلِفُ واللاَّمُ في الأَبْرارِ لاسْتِغْراقِ الجِنْسِ على أَنَّ المُرادَ كُلُّ الأَبْرارِ ، ومِنْ مَعانِيْ البَرِّ في العَرَبِيَّةِ : مِنَ الأَسْماءِ الحُسْنَى ، كما مَرَّ ، على أَنَّ المُرادَ العَطُوْفُ على عِبادِهِ بِبِرِّهِ ، ولُطْفِهِ ، والصَّادِقُ ، والكَثِيْرُ البِرِّ ، والصِّدْقُ في اليَمِيْنِ على أَنَّهُ بفَتْحِ الباءِ ، وكَسْرِها ، وبَرَرْتُ والِدِيْ أَبِرُّهُ ، وبَرَرْتُ في قَسَمِيْ ، وأَبَرَّ اللَّهُ قَسَمِيْ ، وبَرَّ اللَّهُ قَسَمَهُ بِرّاً ، وأَبَرَّهُ إِبْراراً (صَدَقَهُ) ،

---

(١) انظر كتابي : معجم جمُوع التَّكسير في العربيّة : ١١٤/٥

(٢) انظر كتابي : معجم جمُوع التَّكسير في العربيّة : ٧٠/٥ .

والبَرُّ: ضِدُّ البَحْرِ(١) . ويَظْهَرُ لي أَنَّ البَرَّ تَحْمِلُ مَعْنَى المُبالَغَةِ في كَثْرَةِ البِرِّ على الآخرِيْنَ (الكثير البِرِّ على غَيْرِهِ) ، ويُمْكِنُ أَنْ يُتَوَهَّمَ بأَنْ يَكُوْنَ صِفَةً مُشَبَّهَةً على أَنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنْ : بَرُرَ (صارَ ذا بِرٍّ) ؛ لأَنَّ هذا البِناءَ صِفَةً مُشَبَّهَةً يُشْتَقُّ مِنْ (فَعَلَ) المُضَعَّفِ اللاَّزِمِ ، كما في : عَفٍّ ، ورَثٍّ ، وأَضْرابِهِما .

وقَدْ جاءَتْ هذِهِ اللَّفْظَةُ في القُرْآنِ الكَرِيْمِ بخَمْسَةِ مَعانٍ(٢) : بمَعْنَى الحَقِّ ، كما في قَوْلِهِ تَعالَى : " إِنَّهُ هُوَ البَرُّ الرَّحِيْمُ "(٣) ، على أَنَّ المُرادَ اللَّهُ تَعالَى، وبمَعْنَى الصَّحْراءِ ، كما في قَوْلِهِ تَعالَى : " ظَهَرَ الفَسادُ في البَرِّ والبَحْرِ "(٤) ، وقَوْلِهِ : " وحَمَلْناهُمْ في البَرِّ والبَحْرِ "(٥) ، وقَوْلِهِ : " فلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلى البَرِّ "(٦) ، وقَوْلِهِ : " ويَعْلَمُ ما في البَرِّ والبَحْرِ "(٧) ، على أَنَّهُ قِيْلَ إِنَّ البَرَّ : القِفارُ ، وإِنَّ البَحْرَ : كُلُّ قَرْيَةٍ فيها ماءٌ . وقَدْ وَرَدَتْ هذِهِ اللَّفْظَةُ صِفَةً مُدِحَ بِها يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا ، كما في قَوْلِهِ تَعالَى : " وبَرّاً بوالِدَيْهِ "(٨) .وعِيْسَى علَيْهِ السَّلامُ، كما في قَوْلِهِ تَعالَى : " وبَرّاً بوِلِدَتي "(٩)، ومَنْ يَسْكُنُ السَّمواتِ : " بأَيْدِيْ سَفَرَةٍ كِرامٍ بَرَرَةٍ "(١٠) .

---

(١) انظر الزَّبِيْديّ ، تاج العروس : برر ك ١٥١/١٠ .

(٢) انظر : بصائر ذوي التّمييز في لطائف الكتاب العزيز : ٥٠٠/١ ٥٠١ .

(٣) الطور : ٢٨ .

(٤) الرّوم : ٤١ .

(٥) الإسْراء : ٧٠ .

(٦) لقمان : ٣٢ .

(٧) الأنعام : ٥٩

(٨) مريم : ١٤ .

(٩) مريم :٣٢ .

(١٠) عبس : ١٥ – ١٦ .

ويَظْهَرُ ممَّا مَرَّ مَكانَةُ البَرِّ ، والأَبْرارِ ، والبَرَرَةِ دَلالَةً ، واسْتِعْمالاً ، وهِيَ مَسْأَلَةُ فَرَضَتْ على الطَّبَرْسِيِّ سُلْطانَها بجَعْلِها عُنْواناً لهذِهِ السُّوْرَةِ ، وهُوَ عُنْوانٌ يَنْدَرِجُ دَلالَةً تَحْتَ المَعْنَى العامِّ لهذِهِ السُّوْرَةِ والسُّوَرِ الأُخْرَى ذَواتِ البُؤْرَةِ الاسْتِفْهامِيَّةِ مِنْ حَيْثُ إِنَّ اللّهَ أَعَدَّ للمُؤْمِنِيْنَ الصَّادِقِيْنَ يَوْمَ القِيامَةِ ثَواباً عَظِيْماً مِنْ حَيْثُ المَأْكَلُ ، والمَشْرَبُ ، والمَلْبَسُ ، وغَيْرُها ، وإِنَّهُ أَعَدَّ للكُفَّارِ والمُنافِقِيْنَ ولا سِيَّما أُولَئِكَ الَّذِيْنَ كانُوا في مَكَّةَ في عَهْدِ الرَّسُوْلِ ، والَّذِيْنَ عَذَّبُوْهُ ، وأَنْكَرُوا يوْمَ الدِّيْنِ ، أَوْ يَوْمَ القِيامَةِ – عَذاباً شَدِيْداً .

(هـ) سُوْرَةُ هَلْ أَتَى على الإِنْسانِ :

يَتَكَوَّنُ هذا العُنْوانُ مِنْ أَرْبَعَةِ عَناصِرَ :

(١) حَرْفُ الاسْتِفْهامِ (هَلْ) : وهُوَ حَرْفٌ اسْتُعْمِلَ أَيْضاً في البُؤْرَةِ الاسْتِفْهامِيَّةِ في سُوْرَةِ الغاشِيَةِ ، وأَحَدِ عُنْاوِيْنِها (سُوْرَةُ الغاشِيَة ، وسُوْرَةُ هَلْ أَتَاكَ) ، وفيْ هذا الحَرْفِ كما فيْهِ في (سُوْرَةِ الغاشِيَةِ) وَجْهانِ :

(أ) أَنَّها للاسْتِفْهامِ المَحْضِ ، على أَنَّ المُرادَ أَنَّ الإِنْسانَ يُسْأَلُ عَنْ مَجِيْءِ حِيْنٍ مِنْ هذا الدَّهْرِ[1] لَمْ يَكُنْ فِيْهِ شَيْئاً مَذْكُوْراً لغَرابَتِهِ .

(ب) أَنَّها للتَّقْرِيْرِ على أَنَّ الجوابَ : نَعَمْ ، أَتَى عَلَيْهِ حِيْنٌ مِنَ الدَّهْرِ وهُوَ كذلِكَ[2] ، وهذا الوَجْهُ هُوَ الأَحْسَنُ عِنْدَ مَكِّيِّ بْنِ أَبِيْ طالِبٍ : " والأَحْسَنُ أَنْ تَكُوْنَ على بابِها للاسْتِفْهامِ الَّذي مَعْناهُ التَّقْرِيْرُ ، وإِنَّما هُوَ تَقْرِيْرٌ لِمَنْ أَنْكَرَ

---

(١) انظرْ في مَعانيْ لَفْظَةِ الدَّهْرِ في هذِهِ السُّوْرَةِ ما سَبَقَ الحَدِيْثُ عَنْهُ .

(٢) انظر : أبو حيّان النّحويّ ، البحر المحيط : ٣٩٣/٨ ، السّمين الحلبيّ ، الدرّ المصون : ٥٨٩/١٠ – ٥٩٠ ، مكّيّ بن أبي طالبٍ ، مشكل إعراب القرآن : ٤٣٤/٢ ، الزّمخشريّ ، الكشّاف : ١٩٤/٤ ، الشّهاب ، حاشية الشّهاب على تفسير البيضاويّ : ٢٨٦/٧ – ٢٨٧ ، ابن عجيبة ، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (المكتبة الشّاملة): ٢٩٤/٨ ، الطاهر بن عاشور ، تفسير التّحرير ، والتنوير (المكتبة الشاملة) : ٣٤٥/٣٩، ابن جزّي الكلبي ، التسهيل لعلوم التّنزيل (المكتبة الشّاملة) :٢٦٠/٣ ، ابن عادل ، اللباب في علوم الكتاب : ٣/٢٠

البَعْثَ، فلا بُدَّ أَنْ يَقُولَ : نَعَمْ ، قَدْ مَضَى دَهْرٌ طَوِيلٌ لا إِنْسانَ فِيْهِ ، فيُقالُ لَهُ : مَنْ أَحْدَثَهُ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ ، وكَوَّنَهُ بَعْدَ عَدَمِه ، كَيْفَ يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ بَعْثُهُ ، وإِحْياؤُهُ بَعْدَ مَوْتِه ، وهُوَ مَعْنَى قَوْلِه : (ولَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَى فلَوْلا تَذَكَّرُوْنَ)[1] ، أَيْ : فَهَلاَّ تَذَكَّرُوْنَ ، فتَعْلَمُوْنَ أَنَّ مَنْ أَنْشَأَ شَيْئاً بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ قادِرٌ على إِعادَتِهِ بَعْدَ مَوْتِه ، وعَدَمِه "[2] ، وهُوَ الأَحْسَنُ عِنْدَ السَّمِيْنِ الحَلَبِيِّ ؛ لأَنَّ الاسْتِفْهامَ لا يَرِدُ مِنَ الخالِقِ إِلاَّ على هذا النَّحْوِ ، وما يُشْبِهُهُ .

(ج) أَنَّها بمَعْنَى (قَدْ) ، على أَنَّ في الكَلامِ حَذْفَ هَمْزَةِ الاسْتِفْهامِ ؛ لأَنَّ (هَلْ) لا تَكُوْنُ بمَعْنَى (قَدْ) إِلاَّ والهَمْزَةُ مَعَها مَذْكُوْرَةً ، أَوْ مُقَدَّرَةً ، والتَّقْدِيْرُ : أَهَلْ ، كما في قَوْلِ الشَّاعِرِ[3] :

سائِلْ فَوارِسَ يَرْبُوْعٍ بشَدَّتِنا أَهَلْ رأَوْنا بِوادِيْ القُفِّ ذِيْ الأَكَمِ

على أَنَّ المَرادَ : أَنَّ(قَدْ) تُفِيْدُ تَقْرِيْراً يَكْمُنُ في الحَمْلِ على الإِقْرارِ بِما دَخَلَتْ عَلَيْهِ ، على أَنَّ المُقَرَّرَ بِهِ مَنْ يُنْكِرُ البَعْثَ ، وهُمْ كُفَّارُ مَكَّةَ ، ومُنافِقُوْها في عَهْدِ الرَّسُوْلِ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وتَقْرِيْباً يَكْمُنُ في تَقْرِيْبِ الزَّمَنِ الماضِيْ مِنَ الزَّمَنِ الحاضِرِ : أَتَى على الإِنْسانِ حِيْنٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ فيْهِ شَيْئاً مَذْكُوْراً، وهُوَ قَوْلُ الزَّمَخْشَرِيِّ ، وقَدْ عُدَّتْ (هَلْ) عِنْدَ بَعْضِ النَّحْوِيِّيْنَ بمَعْنَى (قَدْ) بلا قَيْدِ كَوْنِها مَسْبُوْقَةً بهَمْزَةِ الاسْتِفْهامِ ، وهُوَ الأَوْلَى ؛ لأَنَّ المُرادَ قُوَّةُ الاسْتِفْهامِ الإِنْجازِيَّةُ ، أَوْ ما خَرَجَ إِلَيْهِ ، وذَهَبَ آخَرُوْنَ إِلى أَنَّ هذا الشَّاهِدَ مِمَّا مِمَّا اجْتَمَعَ فِيْهِ حَرْفا مَعْنًى لتَحْقِيْقِ التَّوْكِيْدِ ، على أَنَّ اخْتِلافَ لَفْظِهِما حَسَّنَ هذا الاجْتِماعَ ، أَوِ التَّجاوُرَ . وذَكَرَ السَّمِيْنُ أَنَّهُ تَناسَى قَيْداً آخَرَ في هذِهِ المَسْأَلَةِ ، وهُوَ أَنَّها لا

---

(١) الواقعة : ٦٢ .

(٢) مكّيّ بن أبي طالب القيسيّ ، مشكل إعراب القرآن : ٤٣٤/٢ .

(٣) انظر : السمين الحلبيّ ، الدرّ المصون : ٥٩٠/١٠ ، الزمخشريّ ، الكشّاف : ١٩٤/٤ .

تَكُوْنُ بمَعْنَى (قَدْ) إلاَّ في الجُمَلِ الفِعْلِيَّةِ لا الاسْمِيَّةِ لتَخَصُّصِ (قَدْ) بالأَفْعالِ ، واسْتِحالَةِ مَجِيْئِها قَبْلَ الجُمْلَةِ الاسْمِيَّةِ .وذَكَرَ الطَّاهِرُ بْنُ عاشُوْرٍ أَنَّ جُمْلَةَ الاسْتِفْهامِ تَوْطِئَةٌ ، وتَمْهِيْدٌ للجُمْلَةِ بَعْدَها (إِنَّا خَلَقْنا الإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ ... "[1] .

(٢) الفِعْلُ الماضِيْ : أَتَى : يُنْبِئُ حَرْفُ الاسْتِفْهامِ (هَلْ) قَبْلَ هذا الفِعلِ الماضِيْ عَنِ التَّقْرِيْرِ ، وتَقْرِيْبِ زَمَنِهِ إلى الحاضِرِ ، والحالِ ، كما مَرَّ . وذَهَبَ المالَقِيْ إلى أَنَّ (هَلْ) مَعَ الماضِيْ تُفِيْدُ التَّحْقِيْقَ لا التَّقْرِيْرَ : " وزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ (هَلْ) في الآيَةِ للتَّقْرِيْرِ فيُحْمَلُ هذا عَلَيْهِ ، ولا يَلِيْقُ بالآيَةِ بَلِ اللاَّئِقُ بـــ (هَلْ) فِيْها أَنْ تَكُوْنَ للتَّحْقِيْقِ ، فهِيَ أَشْبَهُ بـــ (قَدْ) الدَّاخِلَةِ على الماضِيْ ... "[2] . وقَرَأَ حَمْزَةُ ، والكِسائِيُّ ، وخَلَفٌ بإِمالَةِ أَلِفِهِ المُنْقَلِبَةِ عَنِ الياءِ لامِهِ ، وقَراءَةُ الباقِيْنَ بالأَلِفِ[3]. ولهذا الفِعْلِ في الكَلامِ العَرَبِيِّ مِنْ خِلالِ الاسْتِعْمالِ اللُّغَوِيِّ مَعانٍ مِنْها[4] :المَجِيْءُ بسُهُوْلَةٍ ، كما في قَوْلِكَ : أَتَيْتُهُ،والمُعاطاةُ ، كما في قَوْلِهِ تَعالَى : " ولا يَأْتُوْنَ الصَّلاةَ إِلاَّ وهُمْ كُسالَى "[5]، والنُّزُوْلُ على تَعْدِيَتِهِ بـــ (على) ، كما في : أَتَى عَلَيْهِ ، على أَنَّهُ مُضَمَّنٌ مَعْنَى (نَزَلَ) كما قِيْلَ،وفِعْلُ الشَّيْءِ ، كما في : أَتَى الأَمْرَ ، والذَّنْبَ .والتَّلَبُّسُ بالفاحِشَةِ ، كما في : أَتَى الفاحِشَةَ ، ومِنْ ذلِكَ الوَطْءُ ، كما في قَوْلِهِ تَعالَى : "

---

(١) الإِنسان : ٢ .

(٢) المالقي ، رصف المبني : ٤٠٧ .

(٣) انظر : ابن الجزريْ ، النَّشر في القراءات العشر : ٣٦/٢ ، البنّاء ، الإِتحاف : ٧٥ ، ٤٢٨ .

(٤) انظر : الزَّبيدِيّ ، تاج العروس ، أتي : ٣٢/٣٧ - ، الرّاغب الأصفهاني ، المفردات : أتي .

(٥) التوبة : ٥٤ .

أَتَأْتُوْنَ الذُّكْرانَ "(١)، والإِرْجاعُ ، كما في قَوْلِهِ تَعالَى " أَيْنَما تَكُوْنُوا يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيْعاً "(٢)، والدُّنُوُّ ، والقُرْبُ ، كما في قَوْلِهِ تَعالَى : " أَتَى أَمْرُ اللّهِ فلا تَسْتَعْجِلُوْهُ "(٣) . والتَّدْمِيْرُ ،كما في قَوْلِهِ تَعالَى : " فأَتَى اللهُ بُنْيانَهُمْ مِنَ القواعِدِ "(٤) . والإِهْلاكُ ، كما في قَوْلِهِ تَعالَى : " فأَتاهُمُ اللّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا "(٥) ، وأَتَى عَلَيْهِ الدّهْرُ (أَهْلَكَهُ) .

ويَتَبَيَّنُ لَنا مِمّا مَرّ أَنَّ فِعْلَ الإِتْيانِ مُتَعَدِّياً بحَرْفِ الخَفْضِ (على) يُنْبِئُ عنْ دَلالَتَيْنِ الأُولى مِنْهُما : النُّزُوْلُ ، وهِيَ المُرادَةُ ، على أَنَّ هذا الفِعْلَ مُضَمَّنٌ مَعْنَى النُّزُوْلِ لتَصْحِيْحِ التَّعْدِيَةِ عِنْدَ كَثِيْرٍ مِنَ النُّحاةِ ، ولَسْتُ أَتَّفِقُ مَعَهُمْ في ذلِكَ؛ لأَنَّ هذا الفِعْلَ بهذِهِ التَّعْدِيَةِ يَحْمِلُ دَلالَةً مُرَكَّبَةً مِنِ المَجِيْءِ ، والنُّزُوْلِ ، وهِيَ دَلالَةٌ تُوْمِئُ إِلى المُفاجَأَةِ ، والسُّرْعَةِ في النُّزُوْلِ ، والقُوَّةِ ؛ لأَنَّ المُنْزِلَ اللّهُ سُبْحانَهُ ، والثّانِيَةُ : الإِهْلاكُ .

(٣) حَرْفُ الخَفْضِ : على : قِيْلَ أَنَّ الأَصْلَ في هذا الحرْفِ أَنْ يَدُلَّ على العُلُوِّ، والاسْتِعْلاءِ ، كما في : طَلَعَ الرَّجُلُ على السَّقْفِ ، واسْتَوَى على الجَبَلِ ، وقَوْلِهِ تَعالَى : " على العَرْشِ اسْتَوَى "(٦) ، على أَنَّ المُرادَ الاسْتِواءُ حَقِيْقَةً عِنْدَ السَّلَفِيِّيْنَ، والقَهْرُ ، والاسْتِيْلاءُ عِنْدَ المُؤَوِّلِيْنِ ، كما في قَوْلِ الشّاعِرِ(٧) :

قَدِ اسْتَوَى بِشْرٌ على العِراقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ ودَمٍ مُهْراقِ

---

(١) الشعراء : ١٦٥ .

(٢) البقرة : ١٤٨ .

(٣) النحل : ١ .

(٤) النحل : ٢٦ .

(٥) الحشر : ٢ .

(٦) طه : ٥ .

(٧) انظر : المالقيّ ، رصف المباني : ٣٧٢ .

والأَوْلَى أَنَّ تَحَقُّقَ مَعْنَى لَفْظَةٍ ما يُفْهَم مِنَ السِّياقَيْنِ اللُّغَوِيِّ ، وغَيْرِ اللُّغَوِيِّ ، فلا مُحْوِجَ إِلى أَنْ يَكُوْنَ لَها مَعْنًى حَقِيْقِيٌّ ، وآخَرُ مَجازِيٌّ ، وعَلَيْهِ فإِنَّ مَعْنَى فِعْلِ الإِتْيانِ المُعَدَّى بـــ (على) في هذا العُنْوانِ يُوْمِئُ إِلى النُّزُوْلِ فَجْأَةً ، وبسُرْعَةٍ، وقُوَّةٍ ؛ لأَنَّ القُرْآنَ مُنَزَّلٌ مِنَ اللّه بوَساطَةِ جِبْرِيْلَ عليْهِ السَّلامُ .

(٤) الإِنْسانُ : تَتَكَوّنُ هذِهِ اللَّفْظَةُ مِنْ عُنْصُرَيْنِ حَرْفِ التّعْرِيْفِ ، وإِنْسانٍ ، كما مَرَّ في أَحَدِ عَناوِيْنِ هذِهِ السُّوْرَة (سُوْرَةُ الإِنْسانِ) .

ولَمْ يُذْكَرْ فاعِلُ هذا الفِعْلِ في هذا العُنْوانِ ، وهُوَ (حِيْنٌ مِنَ الدَّهْرِ) تَخْفِيْفاً، واخْتِصاراً ، وجَذْباً لانْتِباهِ السَّامِعِيْنَ للتَّفَكُّرِ فيْهِ ، وفي سَبَبِ إِغْفالِهِ ، أَوْ لِكَوْنِهِ بَيِّناً اتِّكاءً على السِّياقَيْنِ اللُّغَوِيِّ ، وغَيْرِ اللُّغَوِيّ ، وهُوَ يُعَدُّ أَطْوَلَ هذِهِ العَناوِيْنِ .

والقَوْلُ نَفْسُهُ في هذا العُنْوانِ كالقَوْلِ في العَناوِيْنِ الأُخْرَى مِنْ حَيْثُ الوَعِيْدُ ، والوَعْدُ ، على أَنَّ الوعِيْدَ لكُفّارِ مكَّةَ ، ومُنافِقِيْها الَّذِيْنَ أَنْكَرُوا يَوْمَ البَعْثِ ، وأَشْرَكُوا باللَّهِ ، وعَذَّبُوا الرَّسُوْلَ ، وحاصَرُوْهُ ، وقاطَعُوْهُ ، وحاوَلُوا قَتْلَهُ ، على الرَّغْمِ مِنَ النِّعَمِ البَيِّنَةِ الَّتي يَسْتَحِيْلُ على العاقِلِ المُفَكِّرِ أَنْ يُنْكِرَها ، وأَهَمُّ هذِهِ النِّعَمِ خَلْقُ اللَّهِ الإِنْسانَ مِنَ العَدَمِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً ، ومِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ كما مَرَّ ، والوَعْدُ للمُؤْمِنِيْنَ الصَّادِقِيْنَ بأَنَّ اللّهُ أَعَدَّ لَهُمْ في هذا اليَوْمِ ثَواباً عظيْماً .

ويَتَبَيَّنُ لَنا أَنَّ عَناوِيْنَ هذِهِ السُّوْرَةِ الخَمْسَةَ تَدُوْرُ في فَلَكِ المَعْنى العامِّ ، وتَتَسَرَّبُ إِلَيْهِ كَغَيْرِها مِنْ عَناوِيْنِ هذِهِ السُّوَرِ القُرْآنِيَّةِ ذواتِ البُؤْرَةِ الاسْتِفْهامِيّةِ .

(٨) سِيْمْيائِيَّةُ العُنْوانِ في سُوْرَةِ الحاقَّةِ ، وسُوْرَةِ السَّلْسِلَةِ ، وسُوْرَة الواعِيَةِ [1]

---

(١) عَدَدْتُ سُوْرَتَي الحاقَّةِ ، والقارِعَةِ مِنَ السُّوَرِ ذَواتِ البُؤْرَةِ الاسْتِفْهامِيَّةِ ؛ لأَنَّ البُؤْرَةَ الاسْتِفْهامِيَّةَ جاءَتْ فيهِما خَبَراً .

لهذهِ السُّوْرَةِ ثَلاثَةُ أَسْماءٍ كما في (تَفْسِيْر التَّحْرير ، والتَّنوير)[1] للطّاهِرِ بنِ عاشُوْرٍ ، وهِيَ : سُوْرَةُ الحاقَّةِ ، وسُوْرَةُ السِّلْسِلةِ ، وسُوْرَةُ الواعِيَةِ :

(أ) سُوْرَةُ الحاقَّةِ : يُطالِعُ هذا العُنْوانُ القارِئَ في في المَصاحِفِ ، وكُتُبِ التَّفْسِيْرِ، والسُّنَّةِ ، وهُوَ الأَكْثَرُ ، والأَوْلَى ، وقِيْلَ إِنَّها سُمِّيتْ بالحاقَّةِ في عَهْدِ النَّبِيِّ عليْهِ السَّلامُ كما في قَوْلِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ (قَبْلَ أَنْ يُسْلِمِ حِيْنَ خَرَجَ بمكَّةَ قاصِداً أَنْ يَتَعَرَّضَ للرَّسُوْلِ عليْهِ السَّلامُ ، فوَجَدَ الرَّسُوْلَ قَدْ سَبَقَهُ إِلى المَسْجِدِ الحَرامِ ، ثُمّ وَقَفَ خَلْفَهُ : " فاسْتَفْتَحَ سُوْرَةَ الحاقَّةِ ، فجَعَلْتُ أَعْجَبُ مِنْ تَأْلِيْفِ القُرْآنِ ، فقُلْتُ في خاطِرِيْ : هذا – واللّهِ – شاعِرٌ ، فقَرَأَ (وما هُوَ بقَوْلِ شاعِرٍ قَلِيْلاً ما تُؤْمِنُوْنَ)[2] ، قُلْتُ : كاهِنٌ ، فقَرَأَ : (ولا بقَوْلِ كاهِنٍ قَلِيْلاً ما تَذَكَّرُوْنَ تَنْزِيْلٌ مِنْ رَبِّ العالَمِيْنَ)[3] "[4] ، وقِيْلَ إِنَّ الإِسْلامِ وقَع في قَلْبِهِ كُلَّ مَوْقِعٍ .

وفي هذهِ التَّسْمِيَةِ عَشْرَةُ أَوْجُهٍ ، كما ذَكَرَ الرَّازِيّ[5] :

- أَنَّها السَّاعَةُ الواجِبَةُ الوُقُوْعِ ، الثَّابِتَةُ المَجِيْءِ ؛ لأَنَّ الحَقَّ هُو الثَّابِتُ ، وهُوَ مِنْ أَسْماءِ اللّهِ تعالى .
- أَنَّها الَّتي تُحَقُّ (تُعْرَفُ) بها الأُمُوْرُ ، على أَنَّ المُرادَ : أَنَّها تُعْرَفُ على الحَقِيْقةِ ؛ وأَنَّ الفِعْلَ الثُّلاثِيَّ يَتَعَدّى إِلى مَفْعُوْلٍ صَرِيْحٍ : حَقَّ الأَمْرَ ، وأَحَقَّهُ (كانَ مِنْهُ على بَيِّنَةٍ) ، وأَنَّ الفِعْلَ صُيِّرَ لَها لا لِفِعْلِها .
- أَنَّها تُوْسَمُ بأَنَّها ذَواتُ الحواقِّ (فَواعِلُ : تَكْسِيْرُ : حاقَّةٍ ، وحاقٍّ لغَيْرِ العاقِلِ) مِنَ الأُمُوْرِ الصَّادِقَةِ ؛ لأَنَّ ما سَيَقَعُ في يَوْمِ القِيامَةِ مِنْ حَوادِثَ ، وأُمُوْرٍ ، وثَوابٍ ، وعِقابٍ لا محالَةَ واقِعٌ وُجُوْباً .

---

(١) انظر : ١١٢/٣٩ (المكتبة الشّاملة).

(٢) الحاقّة : ٤١ .

(٣) الحاقّة : ٤٢ – ٤٣ .

(٤) انظر الطّاهر بن عاشور ، تفسير التحرير ، والتنوير: ٣٩/ ١٠٢ (المكتبة الشاملة) .

(٥) انظر : ٤٥٣٣/١ (المكتبة الشاملة) .

سيميائية العنوان

- أَنَّ الحاقَّةَ : الحقَّةُ (بكَسْرِ الحاءِ ، وقِيْلَ بفَتْحِها) مَعْنًى ، ودَلالَةً ، على أَنَّ الحِقّةَ : الحَقُّ الواجِبُ ، ويُقالُ : هذِهِ حِقَّتِيْ ، وهذا حَقِّيْ ، وأَنَّها أَخَصُّ مِنَ الحَقِّ ، وأَوْجَبُ[1] . وقِيْلَ إِنَّ هذا الوَجْهَ قَرِيْبٌ مِنَ الوَجْهِ الأوَّلِ .
- أَنَّها النَّازِلَةُ الثَّابِتَةُ الّتي حَقّتْ ، فلا كاذِبَةَ لَها ، كما في قَوْلِهِ تَعالَى : " لَيْسَ لوَقْعَتِها كاذِبَةٌ "[2] ، وهُوَ قَوْلُ اللّيْثِ .
- أَنَّها السَّاعَةُ الَّتي يَحُقُّ فيها الجَزاءُ على الضَّلالِ ، والهُدَى ، على أَنَّها القِيامَةُ .
- أَنَّها الوَقْتُ الّذي يَحُقُّ فِيْهِ الجَزاءُ على كُلِّ قَوْمٍ (يَجِبُ ، ويَثْبُتُ) ، كما في قَوْلِهِ تَعالَى : " ولكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ العذابِ على الكافِرِيْنَ "[3] ، وقَوْلِهِ : " لَقَدْ حَقَّ القَوْلُ على أَكْثرِهِمْ "[4] .
- أَنَّها الحَقُّ مِنْ حَيْثُ إِنّ المُكَلَّفِيْنَ في ذلِكَ اليَوْمِ يَتَلَقَّوْنَ نَتائِجَ أَعْمالِهِمْ أَيّاً كانَتْ، وهُوَ قَوْلُ الزَّجّاجِ .
- أَنَّها تَحُقُّ لكُلِ قَوْمٍ عَمَلَهُمْ ، وتَحُقُّ كُلَّ مُحاقٍّ (اسْمُ فاعِلٍ مِنْ : حاقَّهُ)، أَوْ مُخاصِمٍ ، أَوْ مُجادِلٍ في دِيْنِ اللّهِ تَعالَى بالباطِلِ ، فتَغْلِبُهُ ، على أَنّ المُرادَ : حاقَقْتُهُ أُحاقُّهُ حِقاقاً ، ومُحاقَّةً ، فحَقَقْتُهُ أَحُقُّهُ ، على أَنَّ ذلِكَ مِنْ بابِ المُغالَبَةِ ، وهُوَ قَوْلُ الأَزْهَرِيِّ[5] .
- أَنّها مِنْ بابِ (فاعِلَةٍ) مِنْ : حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ .

وبِناءُ هذا العُنْوانِ صَرْفِيّاً فِيْهِ قَوْلانِ :

---

(١) انظر : الزبيديّ ، تاج العروس ، حقق : ١٦٦/٢٥ - .
(٢) الواقِعة : ٢ .
(٣) الزمر : ٧١ .
(٤) يس : ٧ .
(٥) انظر : تهذيب اللّغة : حقق .

- أَنَّها اسْمُ فاعِلٍ (حاقِقَة : حاقَّة) مِنْ حَقَّ يَحِقُّ (وجبَ ، وثَبَت ، وصَحَّ وُجُوْدُها) ، ويَجُوْزُ أَنْ يكُوْنَ (حَقَّ) مُتَعَدِّياً إِلى مَفْعُوْلٍ صَرِيْحٍ : حَقَّ الشَّيْءَ (أَثْبَتَهُ ، وأَوْجَبَهُ) ويَحُقَّ (غَلَب) ، على أَنَّ الفِعْلَ (تَحُقُّ) مُتَعَدٍّ إِلى مَفْعُوْلٍ صَرِيْحٍ ، والتَّقْدَيْرُ : تَحُقُّ كَلَّ مُحاقٍّ في دِيْنِ اللّه ، على أَنَّ المُرادَ تَتَبَدَّى فيها حَقائِقُ الأُمُوْرِ ، وقِيلَ إِنَّ الحاقَّةَ صِفَةٌ لمَوْصُوْفٍ مَحْذُوْف تَقْدِيْرُهُ : السَّاعةُ، اَوِ الحالَةُ الَّتي يَحِقُّ وُجُوْدُها بما فيها مِنْ حَوادِثَ ، أَو تَتَحَقَّقُ فيها الأُمُوْرُ ، ولا مُحْوِجَ إِلى تَقْدِيْرَ هذا المَوْصُوْفِ ؛ لأَنَّ هذا اللَّفْظَةَ تُعَدُّ مِنْ بابِ الصِّفاتِ اللازِمَةِ التي تعامَل مُعامَلَة الجَوامِدِ .

- أَنَّها مَصْدَرٌ كالعافِيَةِ ، والعاقِبَةِ ، والرَّاغِيَةِ ، والثَّاغِيَةِ ، كما في : سَمِعْتُ راغِيَةَ الإِبِلِ ، وثاغِيَةَ الشَّاءِ ، والطَّاغِيَةِ ، والصَّارِخَةِ ، واللاَّغِيَةِ ، والواقِيَةِ[1]. ويَظْهَرُ لي أَنَّ كَوْنَها مَصْدَراً يُسْهِمُ في الإِنْباءِ عَنِ المُبالَغَةِ ، والثَّباتِ ، وعَدَمِ التَّنَقُّلِ .

ولهذِهِ اللَّفْظَةِ مُتَرادِفاتٌ كالطَّامَّةِ ، والصَّاخَّةِ ، والقارِعَةِ ، والآزِفَةِ ، والسَّاعَةِ .

ويَتَبَدَّى لي أَنَّ هذا العُنْوانَ هُوَ الأَوْلى ، والأَظْهَرُ ؛ لأَنَّ لَفْظَةَ الحاقَّةِ لَمْ تَرِدْ في القُرْآنِ إِلاَّ في هذا السُّوْرَةِ ، وأَنَّ فيْهِ سُوْرَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ يَشْتَرِكُ عُنْواناهُما مَعَها في الدَّلالَةِ ، والبِناءِ الصَّرْفِيِّ ، وهُما : القارِعَةُ ، والواقِعَةُ .

ولا يَخْفَى على القارِئِ أَنَّ عُنْوانَ هذِهِ السُّوْرَةِ يَنْدَرِجُ دَلالِيَّاً تَحْتَ مَعْناها العامِّ مِنْ حَيْثُ تَهْدِيْدُ كُفَّارِ مَكَّةَ ، ومُنافِقِيْها الَّذِيْنَ أَنْكَرُوْا تَحَقُّق يَوْمِ القِيامَةِ بِما فِيْهِ مِنْ حَوادِثَ ، وأُمُوْرٍ ، وأَنْكَرُوا أَنْ يكُوْنَ القُرْآنُ كَلامَ اللَّهِ ، وهُوَ قُرْآنٌ نَسَبُوْهُ إِلى الرَّسُوْلِ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وعَذَّبُوهُ أَيَّما تَعْذِيْبٍ ، ويَشْتَرِكانِ مَعَها في

---

(١) انظر : الزبيديّ ، تاج العروس ، وعي : ٤٠/٢١٥ – ٢١٦ .

تأصيل | T’aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

الوُرُوْدِ في الآيَةِ النَّواةِ ، أَوِ الآيَةِ الأُوْلَى : " إِذا وَقَعَتِ الواقِعَةُ "(١) ، و " القارِعَةُ ما القارِعَةُ "(٢) ، على أَنّ سُوْرَةَ القارِعَةِ أَكْثَرُ قُرْباً مِنَ السُّوْرَةِ الأُخْرَى ؛ لأَنَّها وسُوْرَةَ القارِعَة افْتُتِحَتا بهذا العُنْوانِ فَضْلاً عَنْ كَوْنِ عُنْوانَيْهِما وردَا في البُؤْرَةِ الاسْتِفْهامِيَّةِ الواقِعَةِ خَبَراً ، وأَنَّ سُوْرَةَ الواقِعَةِ لَمْ تُفْتَتَحْ بهذا العُنْوانِ بَلْ جاءَتْ لَفْظَةُ الواقِعَةِ فاعِلاً لفِعْلِ الشَّرْطِ : " إِذا وَقَعَتِ الواقِعَةُ " .

(ب) سُوْرَةُ السِّلْسِلَةِ : مِمَّنْ ذَكَرَ هذا العُنْوانَ الفيروزآبادِيْ في (بَصائِرِ ذَوِيْ التَّمْيِيْزِ)(٣) ، وهذِهِ اللَّفْظَةُ وردَتْ في الآيَةِ الثَّانِيَةِ والثَّلاثِيْنَ مِنْ هذِهِ السُّوْرَةِ : " ثُمَّ في سِلْسِلَةٍ ذَرْعُها سَبْعُوْنَ ذِراعاً فاسْلُكُوْهُ "(٤) . والسِّلْسِلَةُ مُرَكَّبَةٌ مِنْ عُنْصُرَيْنِ هُما :

- الأَلِفُ ، واللاَّمُ ، على أَنَّهُما للعَهدِ ؛ لأَنَّ هذِهِ السِّلْسِلَةَ لَها وَصْفٌ خاصٌّ يَكْمُنُ في أَنَّ طُوْلَها سَبْعُوْنَ ذِراعاً ، وتُدْخَلُ مِنْ فَمِ المُنافِقِ ، وتُخْرَجُ مِنْ دُبُرِهِ ، ويُحاطُ بِها ، وهِيَ في هذِهِ السُّوْرَةِ نَكِرَةٌ مُخَصَّصَةٌ بالوَصْفِ (ذَرْعُها سَبْعُوْنَ ذِراعاً) .
- سِلْسِلَةٌ (فِعْلِلَةٌ) : لهذِهِ اللَّفْظَةِ في العَرَبِيَّةِ مَعانٍ مِنْها : أَنَّها حَلَقٌ مِنْ حَدِيْدٍ كُلُّ حَلَقَةٍ مِنْها في أُخْرَى ، وتُوْسَمُ بالمَتانَةِ الَّتي لا يَسْتَطِيْعُ مَنِ ابْتُلِيَ بِها مِنَ الكُفَّارِ التَّخَلُّصَ مِنْها ، والطُّوْلِ ، وهذا الطُّوْلُ سَبْعُوْنَ ذِراعاً ، وهذا الذِّراعُ لا يُعْرَفُ طُوْلُهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ كالذِّراعِ في الحَياةِ الدُّنْيا ، وهِيَ تَخْتَلِفُ في جَهَنَّم عَنِ السَّلاسِلِ المَعْرُوْفَةِ في الحَياةِ الدُّنْيا ، وهُوَ المَعْنَى المُرادُ ، وتَتَعَزَّزُ أَهَمِّيَّتُها في هذِهِ السُّوْرَةِ لتَقْدِيْمِها على ما تَتَعَلَّقُ بِهِ (فاسْلُكُوْهُ) ، إِذْ يُمْكِنُ أَنْ تُوْسَمَ بِهِ

---

(١) الواقِعَة : ١ .

(٢) القارعة : ١ – ٢ .

(٣) انظر : الطّاهر بن عاشُوْر ، تفسير التحرير ، والتّنوير : ١٠٢/٣٩ ز

(٤) الحاقّة : ٣٢ .

بأَنَّها بُؤْرَةُ مُقابَلَةٍ ، أَوْ مِحْوَرٌ . ومِنْها : الوَحَرةُ (دُوَيْبَّةٌ رُقَيْطاءُ لها ذَنَبٌ رَقِيقٌ، وسِلْسِلَةُ السَّحابِ : ما تَسَلَّلَ مِنْهُ ، وبَدَتْ سَلاسِلُ البَرْقِ : اسْتَطالَ في خَفَقانه .

- سُوْرَةُ الواعِيَةِ : ذَكَرَ هذا العُنْوانَ الجَعْبَرِيُّ في مَنْظُوْمَتِهِ في تَرْتِيْبِ نُزُوْلِ السُّوَرِ القُرْآنِيَّةِ[1] ، وهُوَ عُنْوانٌ يَتَكَوَّنُ مِنْ عُنْصُرَيْنِ هُما :
- الأَلِفُ واللاَّمُ : القَوْلُ في هذا العُنْصُرِ كالقَوْلِ فيهِ في (السِّلْسِلَة) .
- واعِيَةُ : ورَدَتْ هذِهِ اللَّفْظَةُ في الآيَةِ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ في هذِهِ السُّوْرَة : " لنجْعَلَها لَكُمْ تَذْكِرَةً وتَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ "[2] ، على أَنَّ المُرادَ بِها : السَّامِعَةُ ، وهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّأسٍ ، والمُؤْمِنَةُ ، وهُوَ قَوْلُ ابْنِ جُرَيْجٍ ، والحافِظَةُ ، وهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبّاسٍ أَيْضاً ، والّتي عَقَلَتْ عَنِ اللّهِ ما سمِعَتْ ، وانْتَفَعَتْ بِهِ ، وبِما سَمِعَتْ مِنْ كِتابِهِ[3] .

ويَتَعَزَّزُ هذا العُنْوانُ بقَوْلِ الرَّسُوْلِ علَيْهِ السَّلاَمُ لعَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ عِنْدَما نَزَلَتْ هذِهِ الآيَةُ : " سَأَلْتُ اللّهَ أَنْ يَجْعَلَها أُذُنَكَ ، يا عَلِيُّ " ، فقالَ عَلِيٌّ : " فما نَسِيْتُ شَيْئاً بَعْدَ ذلِكَ "[4]، وقَوْلِ الرَّسُوْلِ لهُ أَيْضاً: " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وجَلَ أَمَرَنِيْ أَنْ أُدْنِيْكَ ، ولا أُقْصِيْكَ ، وأَنْ أُعَلِّمَكَ ، وأَنْ تَعِيَ أَنَّ حَقّاً على اللّهِ أَنْ تَعِيَ [5] .

---

(١) انظر : الطّاهر بن عاشثور ، تفسير التحرير ، والتنوير : ١٠٢/٣٩ .

(٢) الحاقَّة : ١٢ .

(٣) انظر : النّكت ، والعيون : ٨/٦ ، الطّاهر بْن عاشور : تفسير التَّحرير والتّنوير : ١٠٢/٣٩ ، الكشف ، والبيان: ٢٨/١٠ ، ابن عادل ، اللّباب في علوم الكتاب : ٣٣/١٩ (المكتبة الشاملة)

(٤) انظر : الكشف ، والبيان : ٢٨/١٠ (المكتبة الشاملة) .

(٥) انظر المراجع السابقة .

ويُعَزِّزُ هذهِ التَّسْمِيَةَ أَنَّ الواعِيَةَ بِناءً صَرْفِيّاً (فاعِلَة) كالحاقَّةِ ، وهُوَ بِناءٌ اخْتُتِمَتْ بِهِ اثْنَتانِ وعُشْرُوْنَ آيَةً مِنْ آياتِ هذهِ السُّوْرَةِ[1] ولا سِيَّما الآياتُ مِنَ الأُوْلى إِلى نِهايَةِ الآيَةِ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ الَّتي اخْتُتِمَتْ كُلُّها بهذا البِناءِ الصَّرْفِيِّ ، وهُوَ بِناءٌ يُعَدُّ مِنْ عَناصِرِ التَّماسُكِ النَّصِيِّ .

وهذا البِناءُ اسْمُ فاعِلٍ مِنْ : وَعَى الشَّيْءَ ، والحَدِيْثَ يَعِيهُ وَعْياً (حَفِظَهُ ، وفَهِمَهُ ، وقَبِلَهُ) ، فهُوَ واعٍ . ومِنْ مَعاني الواعِيَةِ في العَرَبِيَّةِ : الصُّراخُ على المَيِّتِ ، ونَعْيُهُ ، والصَّوْتُ ، والصَّارِخَةُ (اسْمُ فاعِلٍ) ، على أَنَّها مَصْدَرٌ ، واسْمُ فاعِلٍ[2] .

وبعْدُ فإِنَّ هذهِ العَناوِيْنَ الثَّلاثَةَ تُوْمِئُ إِلى المَعْنَى العامِّ الَّذيْ يَكْمُنُ في تَهْدِيْدِ كُفَّارِ مَكَّةَ ، ومُنافِقِيْها الَّذِيْنَ أَنْكَرُوا يَوْمَ البَعْثِ ، وأَنَّ القُرْآنَ كَلامُ اللَّهِ ، وعَذَّبُوا الرَّسُوْلَ ، وإِلى أَنَّ اللَّهَ أَعَدَّ للكُفَّارِ ما يَسْتَحِقُّوْنَهُ مِنْ عِقابٍ ، وللمُؤْمِنِيْنَ ما يَسْتَحِقُّوْنَهُ مِنْ ثَوابٍ ، على أَنَّ المِحْوَرَ يَكْمُنُ في إِثْباتِ أَنَّ الرَّسُوْلَ صادِقٌ ، وأَنَّ القُرْآنَ مِنَ اللَّهِ لا مِنَ الرَّسُوْلِ ، وأَنَّ يَوْمَ القِيامَةِ بما يَقَعُ فيْهِ مِنْ أَهْوالٍ ، وحَوادِثَ حَقٌّ لا مِراءَ فيْهِ .

ويَتَبَيَّنُ لَنا مِنْ عَناوِيْنِ هذهِ السُّوَرِ ذَواتِ البُؤْرَةِ الاسْتِفْهامِيَّةِ الثَّمانِيَةِ ما يَأْتِيْ:

(١) أَنَّ هذهِ العَناوِيْنَ بَعْضُها يُطالِعُ القارِئَ في المَصاحِفِ ، ومَظانِّ التَّفْسِيْرِ ، وكُتُبِ السُّنَّةِ ، وبَعْضٌ آخَرُ مِنْ تَسْمِيَةِ بَعْضِ المُفَسِّرِيْنَ كالسِّلْسِلَةِ ، والواعِيَةِ اللَّذَيْنِ أُطْلِقا على سُوْرَةِ الحاقَّةِ ، وغَيْرِهِما ، كما مَرَّ .

(٢) أَنَّ بَعْضَ السُّوَرِ يحْمِلُ عُنْواناً واحِداً كسُوْرَتَيِ الفِيْلِ ، والقارِعَةِ ، وأَنَّ بَعْضَها يَحْمِلُ سَبْعَةً كسُوْرَتَيِ الإِنْسانِ ، والماعُوْنِ ، وأَنَّ بَعْضَها يَحْمِلُ خَمْسَةً

---

(١) انظر الآيات : ١ – ١٦ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٢ ،٢٣ ، ٢٤ ، ٢٧ .

(٢) انظر : الزبيديّ ، تاج العروس ، وعي : ٤٠/ ٢١٥ – ٢١٦ .

كسُوْرَةِ النَّبَأِ ، وأَنَّ بَعْضَها يَحْمِلُ ثَلاثَةَ كسُوْرَةِ الشَّرْحِ ، والحاقَّةِ ، وأَنَّ بَعْضَها يحْمِلُ عُنْوانَيْنِ كسُوْرَةِ الغاشِيَةِ .

(٣) أَنْ بَعْضَ هذِهِ العَناوِيْنِ يُوْسَمُ بالخِفَّةِ لتَرَكُّبِهِ مِنْ عُنْصُرَيْنِ الأَوَّلُ مِنْهُما الأَلِفُ واللاَّمُ ، وأَنَّ بَعْضَها يُوْسَمُ بالثِّقَلِ بالإِضافَةِ إِلى المُرَكَّبِ مِنْ عُنْصُرَيْنِ لتَرَكُّبِهِ مِنْ جُمْلَةٍ فِعْلِيَّةٍ دُوْنَ المَفْعُوْلِ بِهِ كما في أَحَدِ عَناوِيْنِ (سُوْرَةِ الماعُوْنِ)، وهُوَ : أَرَأَيْتَ ، وكما في (سُوْرَةِ الإِنْسانِ) ، وهُوَ : سُوْرَةُ هَلْ أَتَى ، على أَنَّ (على الإِنْسانِ حِيْنٌ مِنَ الدَّهْرِ) لَمْ يَشْتَمِلْ عَلَيْها هذا العُنْوانِ ، و(سُوْرَةَ الشَّرْحِ) ، وهُوَ : أَلَمْ نَشْرَحْ ، وأَنَّ بَعْضَها الآخَرَ يَشْتَمِلُ على الآيَةِ الأُوْلَى دُوْنَ الفاعِلِ ، كما في (سُوْرَةَ الإِنْسان) : (هَلْ أَتَى على الإِنْسانِ) .

(٤) أَنَّ بَعْضَ هذِهِ العَناوِيْنِ أُخِذَ مِنْ أَلْفاظٍ وَرَدَتْ في أَثْناءِ السُّوْرَةِ ، أَوْ أَوَّلِها ، كما في (سُوْرَةَ الماعُوْنِ) : الماعُوْنَ[1] ، واليَتِيْمِ[2] ، و(سُوْرَةَ القارِعَةِ) : القارِعة ، و(سُوْرَةَ الحاقَّةِ) : الحاقَّةِ ، والسِّلْسِلَة ، والواعِيَة ، و (سُوْرَةَ الفِيْلِ) الفِيْل ، و (سُوْرَةِ الإِنْسان) : الإِنْسان ، والدَّهْر ، والأَمْشاج ، والأَبْرار ، و(سُوْرَةَ النَّبَأِ) : المُعْصِرات ، وغَيْرِ ذلِكَ كما مَرَّ .

(٥) أَنَّ بَعْضَ هذِهِ العَناوِيْنَ لَمْ يَرِدْ في أَثْناءِ هذِهِ السُّوَرِ ، على أَنَّهُ مَصْدَرُ فِعْلٍ وَرَدَ في أَثْناءِ السُّوْرَةِ ، كما في (التَّكْذِيب) في (سُوْرَةِ الماعُوْنِ) وهُوَ مَصْدَرُ الفِعْلِ المُضارِعِ : يُكَذِّبُ في الآيَةِ الأُوْلَى ، و (الشَّرْحِ) في (سُوْرَةِ الشَّرْحِ) ، وهُوَ مَصْدَرُ (نَشْرَحْ) في الآيَةِ الأُوْلَى مِنْ هذِهِ السُّوْرَةِ ، و (التَّساؤُلِ) في (سُوْرَةِ النَّبَأِ) ، وهُوَ مَصْدَرُ الفِعْلِ المُضارِعِ (يَتَساءَلُوْنَ) في الآيَةِ الأُوْلَى .

---

(١) الماعُوْن : ٧ .

(٢) الماعُوْن : ٣ .

(٦) أَنَّ بَعْضَ العَناوِيْنِ اشْتُقَّ مِنْ مُطاوِعِ فِعْلٍ وردَ في السُّوْرَةِ ، كما في (الانْشِراحِ) في (سُوْرَةِ الشَّرْحِ) ، وهُوَ مَصْدَرُ (انْشَرَحَ) مُطاوِعِ (نَشْرَحْ) في الآيَةِ الأُولَى .

(٧) أَنَّ بَعْضَ هذِهِ العَناوِيْنِ يَتَكَوَّنُ مِنْ عُنْصُرِ الاسْتِفْهامِ ، والمُسْتَفْهَمِ عَنْهُ في البُؤْرَةِ الاسْتِفْهامِيَّةِ ، كما في أَحَدِ عناوِيْنِ (الماعُوْنِ))[1] : سُوْرَة أَرَأَيْتَ ، و (سُوْرَةِ الغاشية)[2] : هَلْ أَتاكَ ، و(سُوْرَةِ النَّبَأ)[3] : سُوْرَةُ عَمَّ ، وعَمَّ يَتَساءَلُوْنَ ، و (سُوْرَة الدَّهْرِ)[4] : هَلْ أَتَى على الإِنْسانِ .

(٨) أَنَّ هذِهِ العَناوِيْنَ يُنْبِئُ كُلُّ عُنْوانٍ مِنْها سِيْمْيائِيّاً عَنْ دَلالَةٍ تَنْدَرِجُ تَحْتَ المَعْنَى العامِّ ، كما مَرَّ ، وهُوَ مَعْنًى يَكْمُنُ فيْما يَأْتِيْ :

- تَهْدِيْدُ كُفَّارِ مَكَّةَ ، ومُنافِقِيْها ، وتَوْبِيْخُهُمْ، وتَرْهِيْبُهُمْ لإِنْكارِهِمْ يَوْمَ الدِّيْنِ ، أَوْ يوْمَ القِيامَةِ ، وأَنَّ القُرْآنَ مِنْ كَلامِ الرَّسُوْلِ لا مِنْ كَلامِ اللَّهِ سُبْحانَهُ ، وتَعالَى ، وتَعْذِيْبِهِم الرَّسُوْلَ ، وحِصارِهِ ، ومُقاطَعَتِهِ .
- وَعْدُ المُؤْمِنِيْنَ الصَّادِقِيْنَ بأَنّ لَهُمْ يُوْمَ القِيامَةِ ثَواباً عَظِيْماً ، وأَنَّ للمُنافِقِيْنَ مُقابِلَ ذلِكَ عذاباً عَظِيْماً .
- تَسْلِيَةُ الرَّسُوْلِ ، وطَمْأَنَتُهُ بأَنَّ اللَّهَ مَعَهُ ، وأَنَّهُ لا بُدَّ في نِهايَةِ الأَمْرِ مِنْ أَنْ يُحَقِّقَ نَصْراً مُؤَزَّراً على هؤُلاءِ الكُفَّارِ ، وهذا يُسْهِمْ في أَنْ يُواصِلَ دَعْوَتَهُ أَيّاً كانَتِ العَوائِقُ ، والحَواجِزُ .
- اخْتِلافُ بَعْضِ المُفَسِّرِيْنَ في دَلالاتِ بَعْضِ العَناوِيْنِ كالمُعْصِراتِ ، والواعِيَةِ، وغَيْرِهِما ، وهُوَ اخْتِلافٌ يَدُوْرُ دَلالَةً في فَلَكِ المَعْنَى العامِّ .

---

(١) الماعون : ١ .

(٢) الغاشية : ١ .

(٣) النبأ : ١ .

(٤) الإنسان : ١ .

- تَذْكِيْرُ كُفَّارِ مَكَّةَ ، ومُنافِقِيْها بنِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، وبأَنَّهُ قادِرٌ على فِعْلِ كُلِّ شَيْءٍ، ومِنْ هذِهِ النِّعَمِ حِمايَةُ بَيْتِهِ الحَرامِ مِنْ غَزْوِ الأَحْباشِ بِقِيادَةِ أَبْرَهَةَ لمكَّةَ قاصِدِيْنَ هَدْمَ الكَعْبَةِ ، وخَلْقُ الإِنْسانِ مِنَ العَدَمِ ، ومِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ ، وما يَحْدُثُ يَوْمَ القِيامَةِ مِنْ أُمُوْرٍ ، وحَوادِثَ جِسامٍ يَسْتَحِيْلُ أَنْ يكُوْنَ للإِنْسانِ أَيُّ أَثَرٍ ، أَوْ تَأْثِيْرٍ فيها ، وغَيْرُ ذلِكَ مِمّا يَفْرِضُ على ذَوِيْ الأَلْبابِ سُلْطانَهُ مِنْ حَيْثُ وُجُوْبُ الإِيْمانِ بالخالِقِ .
- تَذْكِيْرُ كُفَّارِ مكَّةَ بما حدَثَ لبَعْضِ الأَقْوامِ السّابِقَةِ ، كقَوْمِ نَوْحٍ ، ولُوْطٍ ، وعادٍ، وغَيْرِهِمْ ليَتَّخِذُوْهُمْ عِبْرَةً .

* * *